

جھونڊ مارڪس فيبر في مجال السوسيولوجيا



ڊا. جميل جمڙاوي

الألوكة
www.alukah.net

الدكتور جميل حمداوي

جهود ماكس فيبر في مجال السوسيولوجيا

المؤلف: جميل حمداوي

الكتاب: جهود ماكس فيبر في مجال السوسيولوجيا

الطبعة الأولى: ٢٠١٥م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى أمي وأبي

إلى أهلي وعشيرتي

إلى أساتذتي

إلى زملائي وزميلاتي

إلى كل من علمني حرفاً

أهدي هذا البحث الأكاديمي راجياً من المولى

عز وجل أن يجد القبول والنجاح

المقدمة

يتناول هذا الكتاب جهود المفكر الألماني ماكس فيبر (Max Weber) في الميدان السوسيولوجي، وإن كان ماكس فيبر معروفاً بعلوم عدة، مثل: الفلسفة، والتاريخ، والاقتصاد، واللاهوت، وعلم الإدارة، وعلم السياسة، وغيرها من التخصصات والشعب والمسالك والمعارف. ومن ثم، لا يقتصر فيبر على امتلاك معرفة واحدة، بل يدمج كل العلوم والمعارف في بوتقة بحثية واحدة لفهم الظواهر المجتمعية وتفسيرها وتأويلها. ويكفيه فخراً أنه من المؤسسين للسوسيولوجيا التفهيمية أو التأويلية؛ وأيضاً من مؤسسي علم الإدارة الحديثة؛ وكذلك من أهم منظري البيروقراطية. ومن جهة أخرى، يعد من أهم المساهمين في تأسيس علم السياسة أو ما يسمى بعلم الاجتماع السياسي. وقد انتشرت أفكار ماكس فيبر، بشكل سريع، في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد ذلك، انتشرت في فرنسا بفضل أعمال رايون آرون (Aron).

إذاً، ما أهم تصورات ماكس فيبر السوسيولوجية والإدارية؟ وما أهم الانتقادات الموجهة إلى منظومته الفكرية؟ وما السياق السياسي والفكري والثقافي الذي تبلور فيه فكر ماكس فيبر؟ وما طبيعة رؤيته للإنسان والعالم والوجود؟

هذا ما سوف نرصده في كتابنا هذا الذي عنوانه **(جهود ماكس فيبر في مجال السوسيولوجيا)**، على أساس أن ماكس فيبر أغنى الفكر الإنساني بمؤلفاته العلمية الرصينة، وأثراه كذلك بنظرياته العميقة في مجالات عدة، مثل: الفلسفة، والإدارة، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، والتاريخ، والثقافة... ومازالت كتبه وأفكاره ونظرياته شاهدة على ذلك. ومازالت امتداداته الفكرية راسخة في الكتابات الفكرية المعاصرة.

و في الأخير، نرجو من الله عز وجل أن يوفقنا في هذا الكتاب المتواضع، و يسدد خطانا، ويرشدنا إلى ما فيه صالحنا، ونستغفره عن أخطائنا وزلاتنا. كما نستسمح القراء الأفاضل عما في هذا الكتاب من نقص وتقصير ونسيان، فالكمال والتمام من صفات سبحانه وتعالى جل شأنه وعلا، وماتوفيقي إلا بالله.

يعتبر كارل إميل ماكسيميليان، المعروف باسم ماكس فيبر (Max Weber) ^١، من أهم الفلاسفة الألمان، ومن أهم علماء القانون والاجتماع والإدارة والاقتصاد السياسي. ويعد أيضا من أهم رواد السوسيولوجيا المعاصرة، ومن الأوائل الذين انتقدوا الحداثة. وقد انساق كثيرا وراء السياسة بالتحليل والتنظير والتعديد، وكان من بين المحررين لدستور جمهورية فيمار سنة ١٩١٩م.

ويعد ماكس فيبر أيضا من أهم السوسيولوجيين الألمان الذين أرسوا دعائم السوسيولوجيا التأويلية، بتجاوز التفسير العلمي نحو التأويل الذاتي والإنساني. وبتعبير آخر، لقد أخرج فيبر علم الاجتماع من إسطار التفسير نحو الفهم والتأويل، بالتركيز على الفعل المجتمعي بدل البنية المجتمعية، والتميز بين العلوم الوضعية القائمة على التفسير السببي والعلي، والعلوم الإنسانية والروحية المبنية على فهم الذات وتأويل تجاربها داخل العالم المرصود. ومن جهة أخرى، يعتبر ماكس فيبر من مؤسسي الإدارة الليبرالية الحديثة في ضوء المنظور العقلاني الهادف.

ومن هنا، لا يمكن فهم التصور النظري والمنهجي والتطبيقي لدى ماكس فيبر إلا باستعراض مجموعة من القضايا الأساسية التي تعرض لها في كتبه ومؤلفاته العديدة على الوجه التالي:

المبحث الأول: الأجواء الثقافية التي عاش فيها ماكس فيبر

عاش ماكس فيبر في وسط ثقافي منتعش أيما انتعاش، ومزدهر علميا وفكريا وأديبا وفنيا، كان يهيمن فيه فكر كارل ماركس (Karl Marx) وفكر نيتشه (F. Nietzsche). فقد كان ماركس رجل اقتصاد يدعو إلى تغيير العالم بدل تفسيره كما هو الشأن سابقا عند

^١ - ولد ماكس فيبر بألمانيا سنة ١٨٦٤، وتوفي سنة ١٩٢٠م، درس الفلسفة، والتاريخ، والقانون والاقتصاد. ومن أهم كتبه (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) (١٩٠٤-١٩٠٥م)، و(الاقتصاد والمجتمع) (١٩٢٢م).

الفلاسفة، وكان يعطي الأولوية للعوامل المادية في هذا التغيير، وخاصة قوى الإنتاج. ومن ثم، فقد نعى الفلسفة الميتافيزيقية القديمة التي كانت تعنى بتفسير العالم دون الاهتمام بتغييره؛ مما دفع ماركس إلى حمل مشعل التغيير الجذري، وإعلان الثورة البروليتارية على أسياد الملكية الخاصة، وقلب النظام الرأسمالي البرجوازي، والثورة كذلك على الأديان التي تستلب الإنسان وتخدره وتكلسه. وقد كان نيتشه أيضا يدعو إلى تغيير القيم ومنظوماتها السائدة، وهو المعروف بفلسفة المطرقة أو فلسفة العبث والنفي.

أما ماكس فيبر، فقد كان معارضا لهذين الفيلسوفين الألمانين المتميزين، إذ اكتفى بفهم العالم وتأويله على حد سواء، متجاوزا بذلك عمليتي التفسير والتغيير. بمعنى أن فيبر كان يدافع عن فلسفة التأويل. في حين، كان ماركس يدافع عن فلسفة التغيير. وإذا كان ماركس قد تجاوز الحقيقة إلى البحث عن العدالة، فإن فيبر مازال متعلقا بتلك الحقيقة، محاولا فهمها وتأويلها ورصدها عبر المعاشة. وقد انحاز فيبر إلى منهج العقلانية، ورفض المناهج القائمة على فكرة التطور أو الجدل أو التفسير المادي، واستبدل البنية التحتية بالبنية الفوقية، وجعل الثقافة هي الأساس في تحريك التاريخ والمجتمع والسياسة والاقتصاد. كما قال بتعددية الأسباب، ولم يقل بسبب واحد كما فعل ماركس حينما ركز على السبب المادي. و"من حيث قصر ماركس في السياسة، أبدع فيبر، لقد جعل منها حقلا للبحث العلمي، بحث فيه قضايا السيطرة والهيمنة والطاعة والشرعية والمشروعية والكرزما والسلطة والبيروقراطية والدولة والنفوذ والحق والقانون، وحاول أن يميز فيه بين السياسي الذي يعيش من السياسة وذاك الذي يعيش لها، إلخ. لقد تجسد اهتمامه العملي بهذا الحقل من النشاط البشري في انتسابات متتالية إلى الأحزاب التي كانت قائمة في أيامه، أما الانسحابات المتتالية منها فقد أظهرته أكثر ميلا إلى الممارسة النظرية منه إلى الممارسة السياسية المباشرة

وأكثر نجاحا في الأولى منه في الثانية، فهو لم يكن مجرد عالم اجتماع يهتم بالسياسة، بل هو - حسبما يقول النقاد- مؤسس علم اجتماع السياسة.^٢

وقد انصب اهتمام ماكس فيبر على علم الاجتماع والقانون والسياسة والاقتصاد والتاريخ. ويعني هذا أن العلوم الإنسانية عند ماكس فيبر متداخلة ومتشابكة بدرجة كبيرة؛ إذ يستحيل الفصل بينها إلا من باب المنهجية ليس إلا.

وثمة عوامل وقيم أخرى تحكمت في مشروعه النظري والعلمي، منها "أن التحيز القومي كان أحد أبرز هذه القيم عنده، فقد كان يؤمن بالقومية الألمانية، وكان يؤمن بضرورة تقوية الدولة الألمانية. في هذا السياق وعندما يشير غولدرنر إلى الظروف المحيطة بدعوة فيبر إلى علم الاجتماع المتحرر من القيم، فإنه لا يبرز حرص هذا الأخير على استقلالية الجامعة والعلم من الأهواء فحسب، بل إنه يؤكد على سبب مهم آخر يتمثل في الدفاع عن الدولة ومؤازرتها من خلال منع العلماء من التدخل في السياسة، من التطاحن الفئوي وتصادم القيم، ومن انتقاد الدولة، إذ إن ذلك يساهم في إضعاف الدولة الوطنية.

لقد كان فيبر يرى أنه لا توجد بين الطبقات الألمانية القائمة، سواء طبقة النبلاء أو الطبقة البورجوازية، أو طبقة العمال، من تستطيع تحقيق الرسالة القومية، ولهذا، فقد أخذ على

^٢ - محمد علي مقلد: (مقدمة المترجم)، ماكس فيبر، لورن فلوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م، ص: ١٢-١٣.

عائته مسؤولية تعليم الألمان وإذكاء الروح القومية بينهم، ومحاولة تغيير قياداتهم لمواجهة خطر العملاق الروسي الذي كان، طول حياته، يخشاه ويكرهه.^٣

وهذا ما جعل ماكس فيبر يرحب بالحرب العالمية الأولى، ويدافع عن ألمانيا في حقها المشروع في احتلال الدول واستعمارها؛ لأن هذا العمل عظيم ومقدس ومشروع.

وعليه، فظروف ماكس فيبر هي " ظروف أوروبا بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حيث وضح صعود الرأسمالية، وبدأت ألمانيا طريقها كي تكون مجتمعاً رأسمالياً صناعياً. كانت فترة هدوء وإنجاز داخلي نما فيها التفكير العلمي، وتراكمات رأس المال، والتطور التكنولوجي، وسيطرت أوروبا على العالم الثالث في أفريقيا وآسيا من خلال الاستعمار وأعمال القرصنة^٤."

ويبدو، من هذا كله، أنه من المستحيل فصل فكر ماكس فيبر عن ظروف القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين في أوروبا الغربية.

المبحث الثاني: تعريف السوسيولوجيا

يعد ما كس فيبر من أهم السوسيولوجيين الألمان الذين أخذوا بمنهج الفهم. وهدف السوسيولوجيا عند ماكس فيبر هو فهم الفعل الاجتماعي وتأويله، مع تفسير هذا الفعل المرصود سببياً بربطه بالآثار والنتائج. ويقصد بالفعل سلوك الفرد أو الإنسان داخل المجتمع،

^٣ - وسيلة خزار: الأيدولوجيا وعلم الاجتماع، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣م، ص: ١٥٤.

^٤ - عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٤٤، ١٩٨١م، ص: ٩١.

مهما كان ذلك السلوك ظاهرا أو مضمرا، صادرا عن إرادة حرة أو كان نتاجا لأمر خارجي⁵. ومن ثم، يتخذ هذا الفعل - أثناء التواصل والتفاعل - معنى ذاتيا لدى الآخر أو الآخرين، مادام هذا الفعل الاجتماعي مرتبطا بالذات والمقصدية. أي: الإجابة عن سؤال جوهرى ألا وهو: كيف يرى الناس سلوكهم ويفسرونه؟ بمعنى أن " الفعل الإنساني عند فيبر هو السلوك الذي يحمل دلالة ومعنى وهدفا. وأما الفعل المجتمعي، فهو السلوك الذي يسلك تجاه الآخرين من خلال مايراه، في سلوك الآخرين، من دلالة ومعنى وهدف."⁶

وإذا كان إميل دوركايم يدرس الظواهر المجتمعية على أنها أشياء موضوعية، فإن ماكس فيبر يدرس الفعل أو السلوك الاجتماعي الذي يتحقق بالتفاعل بين الذوات والأغيار. ويتخذ هذا الفعل معنى ذاتيا وغرضيا. ومن هنا، فقد انتقل ماكس فيبر بعلم الاجتماع من عالم الأشياء الموضوعية إلى الأفعال الإنسانية. أي: انتقل من الموضوع إلى الذات، أو من الشيء إلى الإنسان. كما تجاوز المقاربة الوضعية نحو المقاربة الهيرومنوطيقية التي تقوم على الفهم والتأويل الذاتي الإنساني. وبهذا، قد أحدث قطيعة إبستمولوجية، ضمن مسار علم الاجتماع، بتأسيس المدرسة التأويلية أو الهيرومنوطيقية أو سوسيولوجيا الفهم (la sociologie compréhensive).

ويعني هذا - حسب نيقولا تيماشيف - " أن فيبر كان يأمل لعلم الاجتماع أن يحتفظ بميزات العلوم الروحية. فضلا عن ميزات العلوم الطبيعية. وهذه الميزات - كما يذهب فيبر -

⁵ - Catherine Colliot-Thélène: la sociologie de Max Weber, La découverte, Paris, France, 2006, p:50.

⁶ - عبد الله إبراهيم: الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية ٢٠١٠م، ص: ٩٦.

تكمّن في تحقيق ضرب من الفهم، يتركز على الحقيقة التي مؤداها أن الكائنات البشرية تكون على وعي مباشر وإدراك تام ببناء الأفعال الإنسانية. ففي دراسات الجماعات الاجتماعية - مثلاً - نستطيع أن نفهم الأفعال والمقاصد الذاتية للفاعلين الذين يمثلون أعضاء الجماعات.

أما في العلوم الطبيعية، فإننا لانستطيع أن نفهم - بهذه الطريقة - حركات الذرات، وكل ما نستطيع أن نفعله هو أن نلاحظ فقط أو نستنتج الانتظام القائم بين هذه الحركات. ولقد عبر روبرت ماكفر (Maciver) عن التعارض القائم بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية بشكل أكثر وضوحاً حينما قال: إن الوقائع الاجتماعية هي في نهاية الأمر وقائع مدركة. فحينما نعرف أسباب سقوط حكومة من الحكومات، أو تحديد سعر من الأسعار، أو أسباب حدوث إضراب من الإضرابات، أو انخفاض معدل المواليد في مجتمع من المجتمعات، فإن معرفتنا هذه ستكون مختلفة - في جانب هام وحيوي - عن معرفتنا لأسباب سقوط الأمطار، أو احتفاظ القمر دائماً بالمسافة التي تفصله عن الأرض، أو ظروف تجدد السوائل، أو إفادة النباتات من النيتروجين، فالوقائع التي من النوع الثاني يمكن معرفتها فقط من الخارج، أما الوقائع التي من النوع الأول، فيمكن معرفتها - إلى حد ما - من الداخل.^٧

^٧ - نقولاً تيماشيف: نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمود عودة وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثامنة ١٩٨٣، ص: ٢٦١.

وبناء على ما سبق، يعرف ماكس فيبر السوسيولوجيا، في كتابه (الاقتصاد والمجتمع) قائلاً:
" علم الاجتماع هو العلم الذي يعنى بفهم النشاط الاجتماعي وتأويله، وتفسير حدثه
ونتيجه سببياً⁸."

إذاً، يدرس علم الاجتماع الفعل أو العمل أو النشاط الاجتماعي. في حين، يدرس عند دوركايم الظواهر المجتمعية. فهنا، يحضر البعد الإنساني الذاتي مقابل البعد الاجتماعي الموضوعي الشئني. أي: حضور الذات في مقابل الموضوع. ويرى فيليب كابان (Philippe Caban) وجان فرانسوا دورتيه (Jean-François Dortier) أن السوسيولوجيا عند فيبر " هي علم بخصوص الفعل الاجتماعي. وهو يرفض الحتمية التي يمتدحها ماركس ودوركايم اللذان يجسان الإنسان ضمن نسيج من الضغوط الاجتماعية غير الواعية، ويعتقد فيبر أن هذه الضغوط وهذه الحتميات لاتعدو كونها نسبية. ليس المقصود قوانين مطلقة، إنما توجهات تترك على الدوام مكانا للصدفة وللقرار الفردي. وهو يعتبر أن المجتمع نتاج لفعل الأفراد الذين يتصرفون تبعاً للقيم والدوافع وللحسابات العقلانية. إن توضيح الاجتماعي يعني - إذاً - التنبيه إلى الطريقة التي يوجه بحسبها الناس فعلهم. هذا النهج هو نهج السوسيولوجيا التفهيمية. يقول فيبر: " إن ما ندعوه سوسيولوجيا هو علم مهمته الفهم، عن طريق تأويل النشاط الاجتماعي⁹."

ويعني هذا أن المجتمع يتكون من مجموعة من الأشخاص الذين يقومون بسلوكيات أو أفعال أو أعمال، وهذه الأفعال هي جوهر علم الاجتماع. ويعني هذا أن مقارنة ماكس فيبر

⁸ -Max weber: Économie et société, Poquet, 1995, p. 28.

⁹ - فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه: علم الاجتماع، ترجمة: إياس حسن، دار الفرقد، دمشق، سورية، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، ص: ٤٧-٤٨.

مقاربة فردية، تدرس سلوك الفرد داخل المجتمع، في إطاره التواصل والتفاعلي. ويعني هذا أن الإنسان كائن واع، يتصرف عن وعي وهدف، ولسلوكه معنى وقصد، على عكس الأشياء التي يمكن إخضاعها للدراسة العلمية. هنا، ضرورة فهم العالم في ضوء أفعال الفرد، وفهم مقاصدها وأهدافها ونواياها ودلالاتها. ويستوجب فهم العالم دراسة سلوك الأفراد داخل المجتمع، ورصد دلالات الأفعال ومعانيها ومقصداتها. ويقترّب هذا من البعد التواصل التفاعلي.

إذاً، فالعلوم الوضعية علوم تفسيرية خارجية. في حين، إن العلوم الإنسانية، بما فيها علم الاجتماع، علوم روحية تفهيمية، وعلوم تأويلية داخلية.

ويعني هذا أن علم الاجتماع هو دراسة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد داخل المجتمع، وكيف يعطي الناس فهما ذاتيا للعالم، وكيف يوجهون سلوكهم في إطار هذا النوع من الفهم. أي: فهم نوايا هذا الفعل الاجتماعي وأسبابه. ويعني هذا أن منهجه قائم على الفهم بدل التفسير السببي أو العلي، كما نجد ذلك عند الوضعيين الذين ينتمون إلى المدرسة الدوركايمة. ويعني هذا حضور الذات المؤولة في الفعل الاجتماعي. ولا يمكن فهم هذا الفعل السلوكي إلا في سياق تاريخي معين. ولا يمكن فهم هذا السلوك الاجتماعي إلا ضمن ثقافة معينة مرتبطة بمجموعة من القيم المتعارف عليها.

أضف إلى ذلك أن الهدف من علم الاجتماع ليس هو بناء النظريات المجردة كما كان يفعل الوضعيون أو التفسيريون الدوركاييون، بل هو علم تاريخي بامتياز. وفي هذا، يقول لورن فلوري (Laurent Fleury): "ولهذا كان على هذا الطموح النظري أن يتفادى الاكتفاء بصياغة قوانين مجردة كتلك التي كانت تدعو إليها المدرسة الحدية (L'école

(marginale) النمساوية، وبالتحديد كارل منجر (Carl Menger) (١٨٤٠-١٩٢١). على علم الاجتماع أن يبقى علما تاريخيا، إذ ليس غرض العلوم الاجتماعية أبدا صياغة قوانين شمولية، فهذا وهم كان ينكره على الوضعيين الذين يريدون بلوغ حقيقة الواقع زاعمين تأسيس علوم الثقافة على نمط علوم الطبيعة في معمعة ما كان يسمى طرح المناهج الذي يضع علوم الطبيعة في مواجهة علوم الثقافة، كان موقع ماكس فيبر واضحا إلى جانب أنصار علوم الثقافة، معرفا علم الاجتماع كعلم تاريخي.^{١٠}

وعليه، تعنى السوسيولوجيا الفيبرية بدراسة أفعال الأفراد في علاقة ببنية المجتمع، ضمن نظرية التفاعل الاجتماعي أو نظرية التأثير والتأثر.

المبحث الثالث: موضوع السوسيولوجيا

يهتم ماكس فيبر بدراسة الفعل الفردي المجتمعي ضمن سياقه التأويلي. بمعنى دراسة الفعل الاجتماعي الهادف. ومن ثم، لا يكون الفعل فعلا اجتماعيا إلا إذا كان يحمل في ذاته معنى أو هدفا ما، وكان له تأثير في سلوك الآخر الذي يعيش معه في المجتمع نفسه. أي: هناك علاقة تأثر وتأثير في إطار التفاعل الاجتماعي. وبتعبير آخر، يؤثر الفرد في مجتمعه بأفعاله وسلوكياته وأعماله. وفي الوقت نفسه، يتأثر بذلك المجتمع على الصعيد القانوني والمؤسسي. ومن هنا، فالمادة الأولية " في علم الاجتماع التفهمي هي فعل الفرد، وهي فعل يكون اجتماعيا بمقدار ما يكون متعلقا بسلوك الآخر وموجها بالقياس إليه في تنفيذه. وبمحكم الدلالة الذاتية التي ينيطها الأفراد بأفعالهم، فإن الفعل الفردي يأخذ بالاعتبار سلوك الآخرين ويتأثر به. إن نظرية الفعل الاجتماعي مشدودة بأواصر القربى - إذاً - إلى نظرية سيرورة

^{١٠} - لورن فلوري: ماكس فيبر، ص: ٢٤-٢٥.

التأثر والتأثير (بإدراك معنى أن يكتسب فعل الأفراد الملتزمين دلالة ومعنى قياسا على الآخرين): إنه فعل الفرد موجهها نحو الآخر بنية تعديل سلوكه.

إنها أيضا نظرية التجاهل. ففي مقابل صورة الفرد العارف لأنه فرد عقلائي (نموذج الفاعل الإستراتيجي)، يطور فيبر تصورا قريبا مبدئيا من تصور دوركايم (استنادا إليه يؤثر الواقع الاجتماعي علينا من دون أن ندري)، حيث لا يملك المرء دوما أن يكون على وعي واضح بمقاصده. إن فيبر لا يطلق حكما، وهو يفهم معنى أن يجهل الفرد قواعد الحق والمؤسسات: الفعل هو أن تكون في وضع فريد لم تكن ترغبه، داخل وضع اجتماعي ليس في إمكانك أن تتخلص منه. وهكذا، يعترض فيبر، من غير أن يقول بصراحة، نظرية في التطبيع الاجتماعي تتيح فهم علم اجتماع الفعل، علمه هو، باعتباره علم فاعل مجمعن وعلم فعل مأسس.^{١١}

وعليه، يتحدد موضوع السوسيولوجيا عند ماكس فيبر في دراسة الأفعال الفردية ضمن نسق اجتماعي معين، بالتركيز على علاقات التأثير والتأثر، ودراسة مختلف أنماط التفاعل الاجتماعي في علاقة ببنية المجتمع.

ويعني هذا أن ماكس فيبر قد تجاوز الدراسة الخارجية للظواهر المجتمعية إلى تمثل المقاربة السيكولوجية الداخلية للفاعل الفرد. وفي هذا، تقول وسيلة خزار: "إن من يدرس علم الاجتماع عند فيبر يستطيع أن يقف على تيارات عديدة تجمعت وانصهرت، فأثمرت نسقا فكريا متكاملا؛ فلقد أدخل فيبر العنصر السيكولوجي، إذ يعتقد أن علم الاجتماع، كعلم، يتعين أن يبحث عن تفسير سببي للفعل الإنساني قادر على معرفة غاياته ومقاصده،

^{١١} - لورن فلوري: نفسه، ص: ٢٧.

والتفسير السببي يحقق لعلم الاجتماع صفة العلم التي كافح من أجلها أوغست كونت وإميل دوركايم، ولكن دراسة السلوك الإنساني على هذا النحو، تبرز بعدا آخر في إسهام فيبر، هو بعد الفهم الذي يقوم على التعاطف مع الآخرين، وسبر أغوارهم للتأكد من حقيقة هذا السلوك بدلا من الاكتفاء بمظاهره الخارجية فقط، ومن هنا برزت نزعة جديدة تدعو إلى الاهتمام بدراسة الظواهر الاجتماعية من الداخل أيضا، مثلما ندرسها من الخارج كما لو أنها أشياء.^{١٢}

وبناء على ما سبق، يدرس ماكس فيبر الفعل الفردي من الناحية الخارجية في ضوء المقاربة التفسيرية. ومن جهة أخرى، يدرس هذا الفعل من الداخل في ضوء منهج الفهم.

المبحث الرابع: التصور المنهجي

أعلن ماكس فيبر، في كتابه (الاقتصاد والمجتمع)^{١٣}، عن منهجه السوسيولوجي بقوله: "نسمي علم الاجتماع... العلم الذي يأخذ على عاتقه تفهم النشاط الاجتماعي بالتأويل، بتأويله ثم بتفسير مساره ومفاعيله تفسيراً سببياً".^{١٤}

ونفهم من هذه القولة أن ثمة ثلاث خطوات منهجية هي: الفهم، والتأويل، والتفسير. ويعني المبدأ المنهجي الأول فهم فعل الفرد في إطار نظرية التأثير والتأثر أو في إطار نظرية التفاعل الاجتماعي. أي: فهم المعاني التي يتخذها الفعل الفردي داخل المجتمع المعطى. وينسجم هذا

^{١٢} - وسيلة خزار: الإيديولوجيا وعلم الاجتماع جدلية الانفصال والاتصال، ص: ١٥١-١٥٢.

^{١٣} - Max Weber : Économie et Société (posthume 1921), traduction du tome 1 par Julien Freund, Plon, 1971 ; édition de poche, Pocket, 1995 et 2003 (sous-titre : Les Catégories de la sociologie).

^{١٤} - لورن فلوري: نفسه، ص: ٢٩.

المبدأ مع العلوم الإنسانية أو علوم الثقافة والروح. وبما أن الإنسان فاعل فردي يملك وعيا، ويصدر فعله عن معنى أو مقصدية ما، فمن الصعب دراسته دراسة علمية سببية وعلوية موضوعية؛ لأن ذلك يتنافى مع مبدأ الذاتية في العلوم الإنسانية. وأكثر من هذا، فالإنسان فرد واع وعاقل وحساس لا يمكن مقارنته في ضوء علوم التفسير؛ لأن النتائج ستكون - بلا ريب - نسبية ليس إلا، مهما حاولنا أن نتمثل العلمية والحياد والنزاهة الموضوعية في ذلك.

ويعني المبدأ المنهجي الثاني تمثل التأويل في إدراك حقيقة الواقع أو العالم الموضوعي. ويعني هذا أن فهم فعل الفاعل الفردي لا يمكن أن يتحقق إلا بمعرفة الأحكام المسبقة، وتحديد السياق المجتمعي، والانطلاق من المعرفة الخلفية، والبحث عن جميع المصادر التي تساعدنا على فهم ذلك الفعل، واستجلاء المعنى الذي يصدر عنه. ويمكن الاستعانة كذلك بالأفكار المسبقة، على الرغم من تعارض ذلك مع العلم، على أساس أنها مصادر أولية تسعفنا في تفهم الفعل وتأويله. ومن هنا، يتطلب الفهم ثقافة شخصية من جهة أولى، ومعايشة حقيقية للفاعل من جهة ثانية، ومشاركته في بناء عوالمه الموضوعية والواقعية من جهة ثالثة. لذا، لا بد من التغلغل إلى عالم الفرد لفهم المعنى الذي يلصقه على عالمه من أجل فهمه جيدا، وتأويل فعله وسلوكه حسب الظروف الظاهرة والحيثيات التي يوجد فيها هذا الفعل، والبحث عن العلاقة التفاعلية الموجودة بين الذات والموضوع. ويخضع هذا التعامل كله لمبدأين أساسيين هما: الموضوعية العلمية والحياد الأخلاقي، بعدم إصدار أحكام القيمة، والابتعاد - قدر الإمكان - عن الاعتقادات والآراء الشخصية.

أما المبدأ المنهجي الثالث، فيقوم على التفسير السببي والعللي كربط الفعل ببنية المجتمع، أو تفسير الظواهر المجتمعية تفسيراً ترابطياً وسببياً. وقد تمثل فيبر النموذج المثال منهجاً تفسيرياً لفهم الظاهرة المجتمعية على أساس علي وسببي. ويعني هذا أن النموذج المثال هو بناء علمي مجرد لوصف الظواهر وتفسيرها بغية الحصول على الحقيقة. وهو بمثابة بناء منطقي عقلائي بنيوي وكيفي لجرد العناصر المهيمنة والثانوية المتعلقة بظاهرة مجتمعية ما. وبتعبير آخر، يساعدنا النموذج المثال على تفسير الواقع. ومن ثم، فالنموذج المثال خطوة علمية وإبستمولوجية مهمة للجمع بين الذات والموضوع. وبذلك، ييسر لنا هذا النموذج السبيل لتفسير الظواهر تفسيراً علياً أو سببياً، ليس على أساس سبب واحد كما عند كارل ماركس، بل على أساس الأسباب المتعددة. ويقوم هذا النموذج التفسيري على المقارنة، وتبيان أوجه التشابه والاختلاف بين الظواهر، ثم تبيان علاقة التأثير والتأثر. ومن هنا، فقد فسّر ماكس فيبر ظهور الروح الرأسمالية بتأثيرها بدور الأخلاق البروتستانتية. ولا يعني هذا أن السبب الديني (البنية الفوقية) هو العامل الوحيد لتفسير ظهور الرأسمالية الليبرالية، بل هناك أسباب أخرى من بينها العوامل الاقتصادية نفسها (البنية التحتية).

وقد طبق ماكس فيبر هذه المقاربة التفسيرية كذلك في معرفة سبب ارتباط الحداثة بالغرب. فتوصل إلى أن السبب في ذلك يعود إلى العقلنة والشرعية وتمثل البيروقراطية الإدارية. وبالرغم من اعتقاده بفكرة الخصوصية الغربية، فهو تفادى الوقوع في فخ المركزية الإثنية، فراح في الواقع يدرس هذه الحضارات بحیاد، مستعرضاً الرباط الذي يجمع بين سلوك الأفراد وبين البنى الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسات السياسية. وهو اعتمد موقفاً مضاداً للتطورية، وذلك برفضه فكرة التطور وفكرة القوانين الجدلية في تاريخ شمولي خطي وإلزامي؛ وكان يشدد على ترابط الظروف وتشابك العوامل والتزامن المحتمل. هذه التعددية السببية تزيل

كل التباس أو تواطؤ، لأن العوامل الثقافية والبنية الاجتماعية حاضرة كفرضيات تفسيرية لتطور المجتمع والضرورة الإنسانية. كما أن فيبر نأى بنفسه عن أية حتمية متفاديا التفسير الروحاني لحركة المجتمع وكذلك التفسير المادي: لأن وجود المصالح المادية ومنطق الأفكار، كليهما، في نظره، ما يصنع السلوك الحياتي ويمنحه شكله ومعناه.^{١٥}

وبهذا، يكون ماكس فيبر قد وفق بين ثلاث منهجيات: الفهم، والتفسير، والتأويل. ويعني هذا أن فيبر يأخذ بالتعددية المنهجية لدراسة الظواهر المجتمعية. ومن هنا، فقد " استمر فيبر يتزاع دفاعا عن تعدد المقاربات الممكنة للظاهرة الواحدة أو للنشاط الاجتماعي الواحد، بما في ذلك الحياة الثقافية، قريبا، ليست أية مقارنة أفضل من سواها من المقاربات، وهي لاتكون كذلك إلا في قدرتها على التأويل التفسيري لأكثر عدد ممكن من الوقائع. بأي حال، لايمكن تعميمها لنجعل منها تفسيرا شموليا، لأنها لاتصلح إلا في حدود افتراضاتها المسبقة وسياقها التاريخي.^{١٦}

ولكن فيبر يعطي الأولوية للفهم في دراسة الظواهر المجتمعية، على أساس أن الفهم هو الذي يساعدنا على تقديم تفسير أفضل، والحصول على تأويل أفضل. لذا، ارتبط منهجيا بمبدأ الفهم. إذاً، ما ذا يعني الفهم عند ماكس فيبر؟

ظهر منهج الفهم عند ماكس فيبر، بعد أن بلوره فلهم ديلثاي (**Wilhelm Dilthey**). ويتسم هذا التوجه المنهجي بالطابع الدلالي والتفهيمي والتأويلي، والتركيز على الذات بدل الموضوع. أي: دراسة الفرد في علاقته بأعضاء الجماعة التي ينتسب إليها أو

^{١٥} - لورن فلوري: نفسه، ص: ٣٧.

^{١٦} - لورن فلوري: نفسه، ص: ٣٥.

علاقاته مع المجتمع في كليته، بالتوقف عند مختلف الدلالات والمعاني والمقاصد والغايات والنوايا التي يعبر عنها هذا الفعل الإنساني والسلوكي، في علاقته بأفعال الآخرين، ضمن الكينونية المجتمعية نفسها. ومن ثم، يندرج تصور ماكس فيبر ضمن النظرة التفاعلية إلى المجتمع، فالأفراد يؤثرون في المجتمع بأفعالهم الواعية والهادفة، والمجتمع بدوره يؤثر في الأفراد.

وعليه، تسعى المقاربة التفهيمية مع ماكس فيبر إلى فهم الظاهرة المجتمعية، باستخلاص دلالات أفعال الأفراد، واستكشاف معانيها ومقاصدها وغاياتها ونواياها. وفي هذا السياق، يقول بير بريشي (Pierre Brécher): " إن فهم الفعل الإنساني، حسب فيبر، ليس مسعى سيكولوجيا، بل هو السعي إلى فهم السيرورة المنطقية التي تقود الفاعل الاجتماعي إلى اتخاذ قرار ما في ظرف خاص. إذ يتعين إعادة تشكيل المنطق العقلي للفاعل، كما ينبغي، أيضا، فهم الجانب اللاعقلي في سلوكه، تبعا للأهداف التي يتوخاها والوسائط التي يتوسلها، من أجل التوصل إلى فهم تفسيري للفعل.¹⁷"

وللتوضيح أكثر، إذا كان علم الاجتماع عند إميل دوركايم يعتمد على المقاربة الوضعية التي تتعامل مع الظواهر الاجتماعية تعاملا علميا موضوعيا، على أساس أن الظواهر الاجتماعية مثل الأشياء المادية، ينبغي دراستها كالعلوم الطبيعية، بعد التخلص - أولا - من الأفكار المسبقة، وبناء الفرضيات العلمية، واللجوء إلى التجريب، وتمثل الإحصاء في تحليل الظاهرة الاجتماعية وتفسيرها، بغية إصدار القوانين والنظريات وتعميمها؛ فإن ماكس فيبر يعتمد منهجا تأويليا أو هيرمونيطيقيا يستند إلى الفهم (دراسة المعنى الداخلي)، والتأويل (إدخال الذات والمرجع على مستوى القراءة). ويعني هذا أن الفعل الاجتماعي أو الفعل الإنساني

¹⁷ - Pierre Brécher: Les grands courants de la sociologie, PUF, 2000, pp:80.

مرتبط بثقافة مجتمعية معينة. ومن ثم، لا يمكن دراسة الثقافة أو الإنسان من خلال المنهج الوضعي، بل لابد من تمثل مدرسة الفهم أو الهيرونيوطيقا في ذلك. أضف إلى ذلك أن الظاهرة الإنسانية مرتبطة بمجموعة من الأسباب، وليس بسبب واحد. لذا، يصعب تطبيق المنهج الوضعي على الظاهرة الاجتماعية التي يحضر فيها الإنسان باعتباره فاعلا ومنفعلا، وكائنا واعيا ومتغيرا.

ويستند منهج الفهم إلى ركيزتين أساسيتين هما: المثال ونسق المعاني. فالمثال إجراء عملي ينظر إلى الظاهرة المجتمعية نظرة كلية، باستخدام الحدس والإدراك المباشر. وفي المقابل، ينظر منهج التفسير إلى الظواهر في طابعها الذري، بتفتيتها إلى أجزاء وعناصر. كما أن المثال نموذج عقلي ومنطقي ومثالي صالح لوصف الوقائع الواقعية المعطاة، بالتركيز على مكوناتها وسماتها وعناصرها، وإبراز خصائصها المشتركة والمميزة والمترابطة فيما بينها. كما يجسد المثال الواقع المرصود، ويحتزله في نموذج فكري واضح ومتسق ومنسجم. ومن ثم، فههدف الفهم هو البحث عن معنى العناصر المكونة للواقع المجتمعي، واستكشاف دلالاتها الرمزية بتأويلها وإدراكها إدراكا مباشرا. ويعني هذا أن الفهم يدرك الظواهر المجتمعية إدراكا سليما، ويحس بها إحساسا مباشرا، ويدركها دون معالجات تجريبية أو تفسيرية أو إحصائية، ودون أي استدلال أو استنتاج مباشر. وهي تظهر للعقل ظهورا بديها، كما لو كانت يقينا لا يضيف إليه الاستدلال شيئا^{١٨}.

أما في ما يخص الركيزة الثانية، فيمكن القول بأن الفعل الاجتماعي يتضمن نسقا رمزيا، يحمل في طياته دلالات ثابتة وملتصقة، ندركها بالفهم والتأويل اعتمادا على تجاربنا

١٨ - عبد الله إبراهيم: الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع، ص: ٩٨-٩٩.

وحضورنا الذاتي في هذا العالم. ومن ثم، يكون الهدف الأساس هو الوصول إلى وحدة المعنى أو الفكرة التي تتحكم في هذا الفعل، واستجلاء مختلف النوايا والمقاصد والأهداف التي كانت تتحكم في نشأة هذا الفعل أو السلوك المجتمعي.

ويمكن القول أيضا بأن منهجية ماكس فيبر تتعارض مع منهجية ماركس؛ لأن المنهجية الفيبرية منهجية هيرمينوطيقية تعتمد على الفهم والتأويل، والاهتمام بالفاعل الفردي (المتودولوجيا الفردية). في حين، تعتبر سوسيولوجية ماركس بنائية تركز على الفاعل الجماعي، وتعطي للعوامل المادية أهمية كبيرة، على أساس أن البنية التحتية (البنية الاقتصادية) هي التي تتحكم في البنية الفوقية والإيديولوجية (الفن، والدين، والسياسة). أما ماكس فيبر، فيرجع ماهو مادي إلى ماهو ديني وفوقي، كما وضح ذلك جليا في كتابه (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية)¹⁹، حيث بين أن القيم البروتستانتية الكالفانية هي التي ساهمت في بروز الرأسمالية العقلانية. أما ماركس فقد ركز على العوامل المادية والاقتصادية في ظهور هذه الرأسمالية²⁰. وإذا كان ماركس قد ثار على الدين، فإن ماكس فيبر قد دافع عن فلسفة الأديان، وخاصة البروتستانتية، دعامة العقلانية والبيروقراطية والرأسمالية والحداثة الغربية. ومن ثم، تدعو البروتستانتية إلى ابتغاء الكسب المثمر، وتنمية الرأسمال، وفق دوافع سيكولوجية ومبادئ أخلاقية، مثل: الحرص، والشح، والاستثمار، وعدم التبذير، وحب العمل، ولاسيما أن المذهب البروتستانت الذي ظهر مع مارتن لوثر يمجّد العمل باعتباره

¹⁹ -Max Weber: *L'Éthique protestante et l'esprit du capitalisme* (1904-1905), traduction par Jacques Chavy, Plon, 1964 ; nouvelles traductions par Isabelle Kalinowski, Flammarion 2000; Jean-Pierre Grossein, Gallimard 2003.

²⁰ - Catherine Colliot-Thélène: *la sociologie de Max Weber*, p:5.

غاية للحياة وفريضة من الله. " إن من لا يعمل لن يأكل " كما قال القديس بولس. ولذلك، يجتهد البروتستانت في العمل كي لا تلحقه لعنة الله. وكما تمتاز الأخلاق البروتستانتية بتمجيدها للعمل، تمتاز أيضا بدعوتها إلى التقشف والاستثمار والادخار. وتلك هي الأسس الرئيسية التي قامت عليها الرأسمالية الحديثة...

وخلاصة القول: يرى فيبر أن المذهب البروتستانت، ولاسيما مذهب كالفين (Calvin)، قد خلق ما يسمى " بأخلاق المهنة " المعتمدة على نزعة صوفية تجتهد في جمع النقود واستثمارها في المشروعات التجارية والصناعية، بروح مطمئنة، تعتبر النجاح في الدنيا دليلا على رضا من الله ورضوان.^{٢١}

وعليه، إذا كان إميل دوركايم يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وضعية، على أساس أن هذه الظواهر تشبه الأشياء. لذا، لا بد من دراستها في ضوء علوم الطبيعة، فإن ماكس فيبر الذي تأثر كثيرا بالمقاربة الهيرمونيطيقية، كان يميز بين علوم الطبيعة وعلوم الثقافة. ومادام علم الاجتماع يدرس الفعل الاجتماعي عند الأفراد والجماعات، فهو أقرب إلى علم الثقافة منه إلى علم الطبيعة. في حين، يمكن دراسة الاقتصاد السياسي دراسة علمية، بالاستفادة من علوم الطبيعة. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على الاختلاف المنهجي في دراسة العلوم الإنسانية، بالتشديد على التساؤل التالي: هل يمكن دراسة علوم الروح دراسة وضعية أم أنها علوم مستقلة بذاتها؟

^{٢١} - محمد عابد الجابري وآخرون: دروس الفلسفة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، طبعة ١٩٧١م،

وفي هذا الصدد، يقول السوسيولوجي الفرنسي جوليان فروند (١٩٢١-١٩٨٣م): "يشكل النزاع المنهجي الذي قسم الجامعيين الألمان في أواخر القرن التاسع عشر خلفية التأمل الإبستمولوجي لماكس فيبر...موضوع خلاف يتعلق بوضع العلوم الإنسانية: هل ينبغي إخضاعها لعلوم الطبيعة، كما يريد أنصار الوضعية، أم بالعكس تأكيد استقلاليتها؟ بالطبع، سرعان ماتحول هذا الجدل إلى مناقشة حول تصنيف العلوم، وفي هذا الخصوص انتهى أنصار استقلالية العلوم الإنسانية بدورهم إلى التعارض. فقد اعتبر البعض، منهم ديلثي (Dilthey)، أن مبرر هذا التصنيف هو اختلاف الموضوع، على أساس التمييز بين عالم الطبيعة وعالم الفكر أو التاريخ. فالواقع يقسم إلى قطاعات مستقلة يوجه كل منها فئة خاصة من العلوم. في حين، إن البعض الآخر، ومنهم ويندلبند (Windelband) وريكيرت (Rickert)، يرفض تجزئة الواقع الذي يبقى واحدا هو ذاته دوما، ويقترح هؤلاء أساسا منطقيا لدراسة الواقع، حيث يسعى العالم إما إلى معرفة العلاقات العامة أو القوانين، وإما إلى معرفة الظاهرة بخصوصيتها؛ وهكذا يكون هناك منهجان رئيسيان، واحد يمكن تسميته بالعام، والآخر بالخاص.. مهما يكن التمييز بين العام والخاص، فمن الخطأ القول: إن علوم الطبيعة تستخدم عمليا المنهج الطبيعي أو المنهج العام فقط، وأن علوم الثقافة تستخدم المنهج التاريخي أو الخاص فقط. لا يتمتع أي من هذين المنهجين بامتياز أو تفوق بالنسبة إلى الآخر. وينكر فيبر، الملتزم بروح الإبستمولوجيا الكانطية، أن يكون بوسع المعرفة أن تكون صورة للواقع أو نسخة كاملة عنه، سواء بمعنى المدلول، أو بمعنى المفهوم. فالواقع لامتناه ولايفنى. وبناء عليه، فالمشكلة الأساسية لنظرية المعرفة هي مشكلة العلاقات

بين القانون والتاريخ، بين المفهوم والواقع. وأياً يكن المنهج المعتمد، فإن كل واحد يقوم بعملية انتقاء من التنوع اللامحدود للواقع التجريبي.^{٢٢}

وقد أثبت رايون أرون (R. Aron) أن منهج ماكس فيبر السوسيولوجي يرتكز على ثلاثة مقومات أساسية هي: الفهم، والتاريخ، والثقافة.^{٢٣}

ومن جهة أخرى، يرى محمود عودة، في كتابه (أسس علم الاجتماع)، "ومن الجدير بالذكر أن رائد علم الاجتماع الألماني ماكس فيبر قد تأثر إلى أبعد حد بهذا التصور مما دفعه إلى أن يطور أسلوباً للبحث الاجتماعي عرف بأسلوب الفهم التعاطفي بوصفه الوسيلة الأساسية لفهم ودراسة أنماط الفعل الاجتماعي المختلفة، لكن ذلك لم يدفع فيبر إلى الإقلاع عن المنهج العلمي بمبادئه الأساسية كالتلازم في الوقوع والتلازم في التغير وبصفة خاصة حينما كان يصدر دراسة العلاقة بين الرأسمالية الحديثة والمذهب البروتستانتي - وهذا قد يدعونا إلى القول بأنه إما أن ماكس فيبر قد حاول التوفيق بين المنهج العلمي بوصفه قاسماً مشتركاً بين العلوم جميعاً وبين أسلوب الفهم بوصفه أداة فعالة لفهم الظاهرة الإنسانية، أو أن هناك علمي اجتماع عند ماكس فيبر وليس علماً واحداً، لكن الأقرب إلى المنطق أن الفهم التعاطفي للظاهرة الإنسانية يمكن أن يضيف إليها وأن يكمل معرفتنا بها أو دراستنا الموضوعية لها.^{٢٤}

^{٢٢} - جوليان فروند: سوسيولوجيا ماكس فيبر، ترجمة: جورج أبوصالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص: ٢١-٢٢.

^{٢٣} -R. Aron, Les étapes de la pensée sociologique, collection Tel, Gallimard, 1967, p. 504.

^{٢٤} - محمود عودة: أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت، ص: ٦٦.

وخلاصة القول، يعتمد ماكس فيبر على منهج الفهم في دراسة السلوك الاجتماعي، ورصد أشكال الهيمنة والسلطة، ويعني هذا أنه من مؤسسي مدرسة الفهم في علم الاجتماع. ويعني هذا أن منهجية ماكس فيبر تهدف إلى فهم معنى التفاعلات السلوكية للأفراد داخل المجتمع. أي: يدرس علم الاجتماع العمل الاجتماعي (Action social) الذي يقصد به مجموعة من الوسائل التي يستند إليها المجتمع للحفاظ على اتساقه وانسجامه، وخاصة الوسائل القانونية والتنظيمية أو الأعمال التي تدفع الأفراد والجماعات التي تعيش نوعاً من الهشاشة إلى العيش الكريم، والانصهار في وحدة المجتمع.

وقد تبلور هذا المنهج القائم على دراسة التفاعلات القائمة بين الأفراد في كتابه (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية) الذي نشره في شكل مقالين سنتي ١٩٠٤ و ١٩٠٥م، حيث درس فيهما أثر العوامل الدينية في ظهور العقلانية، وكيف ساهم الإصلاح البروتستانتي في نشأة الاقتصاد الرأسمالي المادي. ومن ثم، فقد ركز ماكس فيبر على العقلانية، واعتبرها مظهراً من مظاهر الحضارة الغربية، وقد جاءت مرافقة لنشوء الرأسمالية (الاقتصاد العقلاني) والبيروقراطية (الإدارة العقلانية).

ومن هنا، فالدين البروتستانتي، باعتباره فعلاً إيجابياً، هو المحرك الحقيقي للعقلانية والحدثة والاقتصاد الرأسمالي، وقد أهله لقيادة حداثة كونية و تقديم نظرة عقلانية لرؤية العالم؛ وهذا ما جعل ماكس فيبر من مؤسسي علم اجتماع الأديان.

وعلى العموم، يتميز المنهج الفيبري بالتعدد لوجود ثلاثة أسس أو خطوات تطبيقية هي: الفهم، والتأويل، والتفسير. بيد أن الفهم هو المعبر في دراسة الظواهر المجتمعية، وهو الذي يتحكم في التأويل والتفسير معاً لتقديم تحليل جيد وأفضل وملائم.

المبحث الخامس: النمط المثالي أساس الفهم

يعد النمط المثالي (L'idéal-type) - عند ماكس فيبر - مفهوما مجردا، أومقولة وصفية عامة تساعدنا على فهم مجموعة من الظواهر وتفسيرها والتنظير لها، وليس من الضروري أن تكون خصائص هذا النمط متوفرة دائما، وبشكل جيد، في الظواهر الملاحظة والمدركة. ومن ثم، فهدف النمط المثالي هو تكوين نموذج للظاهرة الاجتماعية أو منظور هادف لها. وبعد ذلك، استعمل المفهوم من قبل منظري المنظمات الاجتماعية للإشارة إلى الدراسات التجريبية المتعلقة بالبيروقراطية. ولايجلنا مفهوم المثالي على الجودة والإتقان والحكم الإيجابي، بل هو دليل لبناء الفرضيات، ونموذج لفهم الظواهر المدركة في الواقع، أو تعبير عن الفكر المنظم. بمعنى أن النمط المثالي هو نتاج لعملية تركيبية لمجموعة من السمات والمواصفات لظاهرة مجتمعية ما، تكون مجردة وعامة، وتصنيفها ضمن نموذج فكري وعقلي ومنطقي متسق. وللتمثيل، حينما ندرس البيروقراطية، فإننا ندرسها في مجالات متعددة، وفي أمكنة مختلفة، لكننا نتحدث عنها بطريقة مثالية عامة، بالتركيز على خصائصها ومميزاتها المجردة والمشاركة في عمومها، لقبولتها ضمن نموذج مفهومي ووصفي ما. أضف إلى ذلك أن النمط المثالي هو نتيجة لمجموعة من المقارنات والعمليات الوصفية لظاهرة مجتمعية ما. ومن هنا، فالمثالي لاعلاقة له بالقيمة، بل يرتبط بمنظومة من الخصائص والأوصاف والسمات المشتركة الناتجة عن محلاظة ظاهرة ما. وبتعبير آخر، يعني النمط المثالي تجريد أو تحويل الظاهرة المجتمعية المدركة والملاحظة إلى نموذج ذهني مجرد في شكل خصائص ومكونات وسمات مشتركة مجردة وعامة. أي: الانتقال من المحسوس إلى المجرد المثالي. فحينما يرصد

الملاحظ ظاهرة مدركة ما ومعزولة، فإنه يختزلها في مجموعة من المكونات والخصائص والسمات العامة والمجردة لبناء نمطها المثالي والمفهومي.

إذاً، فالأنماط السلوكية، كالسلوك العقلي، والسلوك اللاعقلي، والسلوك القيمي العقلي، والسلوك العاطفي، بمثابة " نماذج أو أفكار عقلية مثالية: هي مثالية بمعنى أنها ليست صادرة من الحياة الاجتماعية الواقعية، لا بمعنى أنها صادرة من ماهيات مجردة كـ " مثل " أفلاطون مثلاً. إنها نماذج مثالية لكونها مشتقة أساساً من الحقيقة التاريخية، تلك الحقيقة المعقدة جداً، والتي تعتبر هذه التصنيفات السلوكية مجرد تبسيط لها. ومن هنا، يدرس علم الاجتماع عند فيبر تلك الأنماط الاجتماعية المثالية التي تحدد طبيعة تصورات الإنسان وإدراكاته ومواقفه السلوكية في المجتمع. وإذا كانت هذه الأنماط كامنة حقاً في بنيات المجتمع، فهي مع ذلك، بمثابة أنماط قياسية تحدد السلوك، وتوجه العقل.

وعلى رأس هذه الأنماط المحددة للسلوك الموجهة للفعل، توجد القيم الأخلاقية والدينية، ثم العرف والعادات والقانون، بالإضافة إلى أنماط أخرى ذات طبيعة سيكولوجية كالحب والكراهية والحقد... ومهما كان الأمر، وسواء كان العنصر الموجه للسلوك هو هذا النمط أو ذاك، فإن الفعل الاجتماعي الحقيقي عند فيبر هو السلوك الهادف المرتبط بغاية معينة. أما السلوك الذي لاهدف له، فهو سلوك لاعقلي، سلوك آلي لاقيمة له من الناحية التاريخية.^{٢٥}

إذاً، فالنمط المثالي أداة تصورية وإجرائية أساسية، أو هو بمثابة منهاج أو مقياس أو نموذج تركيبي، يستخدم لوصف الوقائع المجتمعية وتقييمها. وقد ذكر ماكس فيبر خصائص متعددة

^{٢٥} - محمد عابد الجابري وآخران: دروس الفلسفة، ص: ٣٤٦.

للبيروقراطية كنمط مثالي، وفي تقديمه للنموذج البيروقراطي لم يصف تنظيمًا بعينه، ولم يستخدم مفهوم النمط المثالي بمعنى التقويم الإيجابي، فقد كان هدفه هو قياس درجة البيروقراطية في التنظيم الواقعي^{٢٦}. ويستخدم مصطلح النمط المثالي أيضا لدراسة الدين، والأسرة، والسلطة، والنظم الاقتصادية. ويعني هذا أن النمط المثالي هو أداة للفهم وإدراك الظواهر المجتمعية إدراكا مباشرا وبدهيا وواضحا. ويرى أنتوني غيدنز (Giddens) أن " الأنماط المثالية هي نماذج مفهومية وتحليلية يمكن استخدامها لفهم العالم. وقلما توجد هذه النماذج في العالم الواقعي. وربما لا توجد على الإطلاق. وفي أغلب الحالات تتضح جوانب أو ملامح قليلة منها في الواقع. غير أن هذه النماذج الافتراضية قد تكون مفيدة جدا، عندما نحاول فهم الأوضاع الفعلية في العالم بمقارنتها بواحد من هذه الأنماط المثالية. وفي هذا السياق، تكون الأنماط المثالية بمثابة نقطة مرجعية ثابتة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النمط المثالي لم يكن يعني بالنسبة إلى فيبر أن هذا التصور قد وصل حدود الكمال أو حقق الهدف المنشود. وما كان يعنيه فيبر أن النموذج يمثل صورة صافية لظاهرة ما، وقد استخدم فيبر هذه النماذج المثالية في تحليله لأشكال البيروقراطية والسوق.^{٢٧}

وللتمثيل بشكل أبسط، فـ"شخصية" البخيل" في مسرحية مولير شخصية كاريكاتورية، مع أن احتمال أن نلتقيها في الواقع قليل، لكنها تمثل النمط الأصيل للبخل. هذه الشخصية

^{٢٦} - انظر: مجموعة من المؤلفين السوسولوجيين: قراءة معاصرة في نظريات علم الاجتماع، ترجمة: مصطفى خلف عبد الجواد، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، طبعة ٢٠٠٢م، ص: ٢٢٩.

^{٢٧} - أنتوني غيدنز: علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م، ص: ٧١.

نمط مثال للبخلاء. فالنمط المثال هو تشييد فكري لا يعكس الواقع التجريبي المرصود، بل يسمح بتحليل مكوناته وخصائصه.

وعليه، يتم تحصيل النمط المثالي عند ماكس فيبر بالربط بين عدد من الظواهر، بتصنيفها وتنظيمها وترتيبها ضمن نموذج فكري منسجم ومتسق.

وعليه، يعد النموذج المثالي بمثابة قالب للتوصيف والتجريد والتفصيل والتصنيف والنمذجة، وتحويل الواقع إلى قوانين وبناءات لها قيمة كشفية كبيرة جدا. أي: يقوم النموذج المثالي على ربط النظرية بالواقع بغية تحديد الأشكال والمفاهيم المجردة، وصولا إلى تصنيف نوعي، وتبيان للمكونات الجوهرية، وتحديد للسمات الثانوية، وتصنيف للأشكال. ومن هنا، فإن "النظام المنطقي للمفاهيم من جانب، والترتيب التجريبي لما هو خاضع للتصور في إطار الزمان والمكان، إلى جانب الترابط السببي من جانب آخر، كل ذلك سيبدو مترابطا إلى درجة أن محاولة الإساءة إلى الواقع، لتؤكد فيه القابلية الفعلية للبناء، ستبدو محاولة لا يمكن مقاومتها."^{٢٨}

وهكذا، يتبنى ماكس فيبر النموذج المثالي لتوصيف الظواهر المجتمعية تجريدا وتفصيلا وتصنيفا، فالماركسية - مثلا - هي النموذج المثالي للتطور، والغرب هو النموذج المثالي للحدثة والعقلانية والشرعية...

^{٢٨} - كاترين كوليو تيلين: ماكس فيبر والتاريخ، ترجمة: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م، ص: ١١٩.

المبحث السادس: أنماط الفعل الاجتماعي

يستخدم النمط المثالي عند ماكس فيبر في فهم الفعل الاجتماعي وحتمياته، ويحمل هذا الفعل معنى ما، مادام موجهها نحو الغير. ومن ثم، فهذه الأفعال أنواع وأنماط. فهناك أفعال غير واعية أو أقل وعيا، وأفعال اجتماعية، وأفعال أكثر وعيا، وأفعال أكثر اجتماعية على الشكل التالي:

① **الفعل التقليدي:** يبني هذا الفعل على العادات والقيم والأعراف والتقاليد؛ فالأنشطة اليومية، مثل: الأكل بشوكة أو المصافحة بالأيدي تنأتى من الفعل التقليدي.

② **الفعل الوجداني أو العاطفي:** هو ذلك الفعل الذي توجهه العواطف. ومن ثم، فهو فعل غير عقلائي. مثل: عقاب الأم لابنها بطريقة عاطفية وانفعالية.

③ **الفعل الأخلاقي العقلاني:** هو فعل يتجه صوب القيم، له درجة عالية من الوعي، ويرتبط بهدف ما ضمن نظام القيم، مثل: ربان السفينة الذي يغرق مع سفينته، حين استحالة إنقاذها (فعل التضحية).

④ **الفعل العقلاني الهادف:** يرتبط هذا الفعل بالتخطيط والترشيد العقلاني والتدبير الجيد. أي: يخطط قبل التنفيذ، ويقارن بين الوسائل المتاحة قبل العمل للوصول إلى أهدافه المرجوة، ويحلل النتائج المتوقعة الناتجة عن هذا الفعل المرتقب. مثل: الإستراتيجية العسكرية أو الاقتصادية أو الإدارية.

ويعني هذا أن فعل الفرد إما تقليدي، وإما عاطفي، وإما عقلائي. فالمستهلك يكون عقلائيا حينما يختار منتوجا لشرائه حسب دخله المادي، ووفق الأجرة التي يحصل عليها(فعل

عقلاني)؛ وقد يكون مدفوعا بعاداته الاستهلاكية التقليدية لاختيار منتج ما(فعل تقليدي)؛ أو عن طريق رغباته التي لاتقاوم (فعل وجداني). وهكذا، تتواشج الأنماط الثلاثة في النشاط الواحد للفرد (نشاط المستهلك).

و" هذه الأنماط الأربعة من السلوك ترتبط ارتباطا وظيفيا بأنماط العلاقات الاجتماعية: فالسلوك العقلي بنوعيه، هو الفعل الاجتماعي الذي يسود المجتمع عامة. أما السلوك العاطفي، فهو خاص بالجماعة. في حين، إن السلوك اللاعقلي يخص الإنسانية جمعا، وقوامه جملة من العادات والتقاليد التي قد تتحول إلى سلطة اجتماعية قاهرة^{٢٩}."

ومن هنا، فسوسيولوجيا الفهم هي التي تنكب على رصد هذه الأفعال في المجتمع المدروس، بتصنيفها وتنميطها والبحث عن دلالاتها الظاهرة والخفية، مع تمجيد الفعل العقلاني الهادف والبناء.

المبحث السابع: السوسيولوجيا السياسية

يعد ماكس فيبر مؤسس علم اجتماع السياسة. ومن ثم، تعني السوسيولوجيا السياسية إما علم الدولة أو علم السلطة. بيد أن علم الاجتماع السياسي عند ماكس فيبر يقصد به علم السلطة والحكومة والولاية والقيادة في كل المجتمعات وفي كل المجموعات البشرية، وليس فقط في المجتمع القومي^{٣٠}. لذا، تنبني السوسيولوجيا السياسية عند ماكس فيبر على مجموعة من التصورات النظرية التي يمكن تحديدها في الأفكار التالية:

^{٢٩} - محمد عابد الجابري وآخران: نفسه، ص: ٢٤٥.

^{٣٠} - موريس دوفرجيه: علم اجتماع السياسة، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، ص: ٢١.

المطلب الأول: العنف المشروع أو المبرر

يقصد بالسياسة عند ماكس فيبر الدولة أو التجمع السياسي أو تلك التأثيرات التي تمارسها الدولة في الأفراد أو ما يمارس ضدها من تأثير. ومن ثم، يرى فيبر أن الدولة تتميز بالقوة والعنف وتمارس ما يسمى بمشروعية العنف. ويعني هذا أن الفرد ليس له الحق في ممارسة العنف مهما كانت قيمته الاجتماعية، ومكانته الوظيفية في المجتمع. فالدولة هي المؤسسة الوحيدة التي لها الحق في ممارسة العنف والقوة باسم القانون والتشريع والدستور. ويكون العنف المبرر - هنا - بالسجن، أو المراقبة أو معاقبة المجرم، وإصدار اللوائح القانونية التي تجرم الفعل الإجرامي الذي قام به الفاعل الاجتماعي. وفي هذا السياق، يقول ماكس فيبر: " نعني بكلمة سياسة إدارة التجمع السياسي الذي نسميه اليوم " دولة"، أو التأثير الذي يمارس على هذه الإدارة.

ولكن ماهو التجمع السياسي من وجهة نظر عالم الاجتماع؟ وما الدولة؟ لايمكن تعريف الدولة بدورها من الناحية السوسولوجية بمحتوى ما تقوم به، إذ لا توجد تقريبا أية مهمة لم يقم بها في يوم من الأيام تجمع سياسي ما؛ ومن جهة أخرى لا توجد أيضا مهمات يمكن أن نقول عنها بأنها كانت في وقت ما تخص، على الأقل بصفة حصرية، التجمعات السياسية التي نسميها اليوم دولا أو التي شكلت تاريخيا أصول الدولة الحديثة. هذه الأخيرة لايمكن تعريفها سوسولوجيا إلا بالوسيلة المميزة الخاصة بها، وأيضا بكل تجمع سياسي آخر، ألا وهو العنف الفيزيائي. قال تروتسكي يوما في بريست - ليتوفسك: " كل دولة تنبني على القوة". وهذا أكيد فعلا.. إن العنف ليس بطبيعة الحال إلا الوسيلة الوحيدة للدولة، بدون شك، ولكنه وسيلتها الخاصة. وفي أيامنا هذه تعتبر العلاقة بين الدولة والعنف علاقة

حميمة جدا. كانت التجمعات السياسية بمختلف أنواعها هذه تعتبر العنف الفيزيائي الوسيلة العادية للسلطة، وعلى العكس من ذلك يجب تصور الدولة المعاصرة كجماعة إنسانية في حدود مجال جغرافي محدد تطالب بنجاح ولمصلحتها الخاصة باحتكار العنف الفيزيائي المشروع. وما هو بالفعل خاص بعصرنا هو أنه لا يسمح للتجمعات الأخرى أو للأفراد بالحق في اللجوء إلى العنف إلا عندما تسمح بذلك الدولة: إذ تصبح هذه الأخيرة المصدر الوحيد للحق في العنف.³¹

ولا يقتصر العنف على الدول الديكتاتورية والمستبدة فحسب، بل تمارسها الدولة الديمقراطية أيضا، لكن في نطاق قانوني وشرعي ودستوري؛ إذ تخول الدولة لمؤسسة الأمن أن تتدخل لحماية مرافق التجمع السياسي.

في حين، ترى جاكلين روس (J.Russ) أنه لا ينبغي للدولة أن تمارس العنف مهما كان شرعيا أو غير شرعي، بل ينبغي أن تكون الدولة مؤسسة لضمان الحريات والقوانين والحقوق، مع الإقرار بفصل السلط، واحترام حقوق الإنسان، ونشر العدالة. وفي هذا النطاق، تقول جاكلين روس: " إن دولة الحق لا تتمثل في الصورة القانونية المجردة فحسب، بل تتمثل فيما يتجسد بقوة في مجتمعاتنا، لأن القرن العشرين يبلور نجاحها ويعبر عنه.. إن دولة الحق تؤدي إلى ممارسة معقلنة لسلطة الدولة، ممارسة تتشبه بالقانون، وباحترام الحريات، كما تؤدي إلى تنظيم سياسي متوازن يفتح على مجال الحريات العامة. لكن ماهي دولة الحق؟ إنهادولة فيها حق وفيها قانون يخضعان معا إلى مبدأ احترام الشخص، وهي صيغة قانونية تضمن الحريات الفردية، وتتمسك بالكرامة الإنسانية، وذلك

³¹ -Max Weber: Le savant et le politique, Plon 10/18, 1979, pp:99-

ضد كل أنواع العنف والقوة والتخويف.... إن سلطة دولة الحق تتخذ ملامح ثلاثة: القانون، والحق، وفصل السلط، وتضمن جميعها احترام الشخص، وتسهر على تأسيس هذا الاحترام. "٣٢

وعليه، فهناك تصوران متناقضان: تصور ماكس فيبر الذي يدافع عن عنف الدولة المبرر والمشروع، وتصور جاكلين روس الذي يرفض استعمال العنف مهما كانت طبيعته ومصدره.

المطلب الثاني: أشكال السلطة والهيمنة

من المعروف أن الدولة تمارس ضد مواطنيها العنف المشروع المبرر. لذا، يخضع الناس لتلك الدولة وفق أسباب داخلية ثلاثة تبرر تلك السيطرة أو تلك الهيمنة السياسية التي تفرضها الدولة على مواطنيها:

① السبب الأول هو **نفوذ الماضي**، ويجلنا هذا على العادات والتقاليد والأعراف والطقوس المقدسة التي تجعل الشيخ أو السيد الإقطاعي يسيطر على السلطة. وهنا، نتحدث عن **السلطة التقليدية**.

② السبب الثاني هو **السحر الشخصي والإلهام الخارق**. ويجلنا هذا على الزعيم البطل أو النبي أو القائد الملهم أو الزعيم النقابي الكبير أو القيادي الحزبي المتميز والمحنك. وهنا، نتحدث عن **السلطة الكاريزمية**.

³² -Jacqueline Russ: **Les théories du pouvoir**, Librairie Générale française, Coll.Poche, 1944, pp:90-94.

③ والسبب الثالث هو الاحتكام إلى الشرعية. ويجيلنا هذا على السلطة الشرعية العقلانية التي تقوم على الأسس التالية: الليبرالية، والانتخاب، والاستحقاق، والعقلانية، والشرعية، والبيروقراطية، واحترام الأدوار والوظائف، كما يظهر ذلك بينا في المجتمعات الحديثة.

الاحتكام إلى الماضي	الاحتكام إلى قدرات الشخصية الخارقة	الاحتكام إلى الشرعية
السلطة التقليدية	السلطة الكاريزمية	السلطة الشرعية العقلانية

والآن، نورد قولة ماكس فيبر التي يوضح فيها هذه الأفكار: "إن الدولة، مثل كل التجمعات السياسية التي سبقتها تاريخياً، تكمن في علاقة سيادة الانسان على الانسان، مبنية على وسيلة العنف المشروع - أي العنف المعترف شرعياً -، اذ لا يمكن " للدولة " أن توجد إلا بشرط خضوع الرجال المسودين للسلطة التي يطالب بها الأسياد، وعندها تطرح الأسئلة التالية نفسها على بساط البحث: لأي شروط يخضعون؟ ولماذا؟ وعلى أية تبريرات داخلية، أو وسائل خارجية تستند هذه السيطرة؟

مبدئياً، هناك ثلاثة أسباب داخلية تبرر السيطرة، ومن ثم هناك ثلاثة أسس للشرعية، أولاً: نفوذ " الأمس الأزلي ". أي: نفوذ التقاليد المقدسة بصلاحياتها العريقة، وبعادة احترامها المتجذرة في الانسان. هذه هي " السلطة التقليدية " التي كان البطريك " الشيخ " أو السيد الاقطاعي يمارسها فيما مضى. وبالدرجة الثانية: النفوذ المبني على السحر الشخصي والفائق لفرد ما، نفوذ يحظى بثقتهم بشخصه نظراً لما يتفرد به من صفات خارقة كالبطولة أو بميزات أخرى مثالية تجعل منه زعيماً. هذه هي السلطة الكاريزمية التي كان النبي يمارسها،

أو يمارسها - في المجال السياسي - الزعيم الحزبي المنتخب أو الديماغوجي الكبير أو زعيم حزب سياسي. هناك أخيراً السلطة الثالثة التي تفرض نفسها بفضل " الشرعية "، بفضل الايمان بصلاحيه وضع شرعي وكفاءة ايجابية مبنية على قواعد عقلانية قائمة. وبتعابير أخرى: السلطة المبنية على الطاعة التي تؤدي الواجبات المطابقة للوضع القائم.

هذه هي السلطة كما يمارسها " خادم " الدولة الحديثة، وكذلك كل الذين يمسون بزمام السلطة إلى جانبه^{٣٣}.

ويعني هذا كله أن أنماط الأفعال تحيلنا إلى نمط آخر من أشكال السلطة والهيمنة السياسية التي تتمثل في الأنواع التالية:

① **الهيمنة التقليدية:** تنبني على شرعية الحاكم التقليدي الذي يحترم العادات والأعراف والتقاليد أثناء ممارسة سلطته السياسية، مثل: السلطة الأبوية في المجتمعات الأيبسية، وسلطة الأسياد في المجتمع الإقطاعي.

② **الهيمنة الكاريزمية:** تنبني على هبة الشخص الحاكم وصورته وصفاته الخارقة(نابليون والمسيح - مثلاً-).

③ **الهيمنة الشرعية القانونية:** تتمثل في مدى احترام الحاكم لسلطة القوانين، ووصوله إلى الحكم عن جدارة واستحقاق، مثل: السلطة في التنظيمات السياسية الغربية الحديثة والمعاصرة.

^{٣٣} - ماكس فيبر: رجل العلم ورجل السياسة، ترجمة: نادر ذكري، عن الفلسفة الحديثة، لعبد السلام بنعبد العالي ومحمد سبيلا، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م، ص: ٢٧٣.

طبعاً، يدافع ماكس فيبر عن الفعل العقلاني الهادف، والهيمنة الشرعية القانونية، وهما أساس الليبرالية البيروقراطية العاقلة والراشدة. وفي هذا الصدد، يقول ماكس فيبر: " يتطلع كل علم إلى الحقيقة. والحقيقة التي يتطلع إليها العلم تكون إما عقلانية ورياضية ومنطقية، وإما لاعقلانية شعورية. والحقيقة العقلانية، في النشاط والفعل، هي، قبل كل شيء، فكرية وواضحة وتتم الوضوح (2+2 = 4). وأما الحقيقة اللاعقلانية والشعورية، في النشاط والفعل، فهي، قبل كل شيء، وجدانية..."

إن الطريقة العلمية الفعالة لفهم لاعقلانية السلوك الشعورية، تقوم على اعتبار اللاعقلانية مجرد انحراف عن عقلانية السلوك الخالصة. إن بناء العقلانية الخالصة يمثل نمطا (Type) يوضع بتصريف عالم الاجتماع، بهدف فهم حقيقة النشاط والفعل المجتمعي الذي تفعل فيه لاعقلانيات من كل الأنواع والأشكال.³⁴

وعليه، يرتبط الفعل العقلاني بالشرعية القانونية والنظام البيروقراطي. وهذه هي الأسس الحقيقية لليبرالية الرأسمالية المتقدمة والمزدهرة حسب ماكس فيبر.

المبحث الثامن: ماكس فيبر وسوسيولوجيا الإدارة

يعد ماكس فيبر من مؤسسي علم الإدارة الحديثة، وقد تحدث كثيرا عن مجموعة من المفاهيم الإدارية والتنظيمية، مثل: السلطة، والشرعية، والبيروقراطية، والهرمية الإدارية، ومبدأ الكفاءة... ومن ثم، فقد أدلى بتصورات مهمة حول التنظيم والمنظمات. وبذلك، " قدم فيبر

³⁴ - Max Weber: **Economie et société**, introduction de Hinnerk Bruhns, traduction par Catherine Colliot-Thélène et Françoise Laroche, La Découverte, 1998, p:6.

أول تفسير منهجي لنشأة المنظمات الحديثة. فهو يعتبرها سبيلا لتنسيق أنشطة البشر وما ينتجونه من سلع بأسلوب مستقر ومستمر عبر الزمان والمكان. وأكد فيبر أن نمو المنظمات يعتمد على السيطرة على المعلومات، وشدد على الأهمية المركزية للكتابة في هذه العملية: فالمنظمة، في رأيه، تحتاج إلى تدوين القواعد والقوانين التي تستهدي بها لأداء عملها، مثلما تحتاج إلى ملفات تحتزل فيها ذكرتها. ورأى فيبر أن المنظمات تتميز بطبيعتها بنظام تراتبي ومراتب في الوقت نفسه مع تركز السلطة في مستوياته العليا.^{٣٥}

ومن هنا، لا بد من التوقف عند مفهوم إداري مهم، بالشرح والتوضيح والتحليل، وهو مفهوم البيروقراطية. إذًا، ما معنى البيروقراطية؟ وإلى أي مدى تعد أساس الحداثة العقلانية؟ وما سلبياتها؟

تعني كلمة البيروقراطية المكتب أو الموظفين الجالسين إلى مكاتبهم لتأدية خدمات عامة. ولقد ظهرت البيروقراطية في القرن السابع عشر لتدل على المكاتب الحكومية، وقد استعمل المصطلح من قبل الكاتب الفرنسي **ديغورنيه** سنة ١٧٤٥م الذي جمع بين مقطعين هما: **بيرو** الذي يعني المكتب، و**كراتيا** الذي يعني الحكم. وبعد ذلك، أطلقت البيروقراطية على كل مرافق الدولة من مدارس، ومستشفيات، وجامعات، ومؤسسات رسمية... كما تدل كلمة البيروقراطية على القوة والسلطة والنفوذ والسيادة. وقد ظهرت البيروقراطية لتنظيم العمل وتسهيله والتحكم فيها برمجة وتخطيطا وتدويرا وتوجيها وقيادة وإشرافا وتقويما. والبيروقراطية نتاج للرأسمالية والعقلانية والحداثة الغربية، ونتاج لتقسيم العمل وتنظيمه إداريا. ويمكن الحديث عن مواقف ثلاثة إزاء البيروقراطية:

^{٣٥} - أنتوني غدنز: علم الاجتماع، ص: ٤٠٨.

① **موقف سلبي:** مفاده أن البيروقراطية تنظيم إداري روتيني ومعقد وبطيء في أداء الخدمات العامة؛ مما دفع بلزاك إلى القول بأن البيروقراطية هي "السلطة الكبرى التي يمارسها الأقرام"^{٣٦}؛

② **موقف إيجابي:** ينظر إلى البيروقراطية نظرية متميزة، على أساس أنها طريقة في تنظيم العمل وتديره وفق خطة عقلانية هادفة. ومن ثم، فهي نموذج للحرص والدقة والكفاءة والفعالية الإدارية، مادام هناك احتكام إلى التعليمات والأوامر والإجراءات التنظيمية الصارمة^{٣٧}؛

③ **موقف وسط واعتدال:** ويمثله ماكس فيبر، إذ ذكر إيجابيات البيروقراطية وسلبياتها في الوقت نفسه. ويتخوف أن تحيد البيروقراطية عن أهدافها الحقيقية، فتصبح أسلوبا لممارسة القوة والتسلط والرقابة.

و اليوم، ينظر كثير من الناس إلى البيروقراطية نظرة سلبية؛ لأنها تحيل على البطء والروتين والفساد الإداري، وتعقيد الإجراءات الشكلية والمساطر الإدارية. في حين، يعتبرها ماكس فيبر أساس العقلانية والتقدم والازدهار الرأسمالي الحديث. ويعني هذا أن ماكس فيبر يدافع عن البيروقراطية التي تقوم على الشرعية، والعقلانية، والحداثة، والكفاءة المهنية والحرفية والعلمية.

وعليه، فقد وضع فيبر نموذجا "يحدد مفهوما مثاليا للبيروقراطية يتفق مع التوجهات التي كانت سائدة في عصره، وقد أصبح هذا النظام من أكثر الأنظمة الإدارية الشائعة بعد

^{٣٦} - أنتوني غيدنز: نفسه، ص: ٤٠٩.

^{٣٧} - أنتوني غيدنز: نفسه، ص: ٤٠٩.

الثورة الصناعية، فكان لابد من وجود نظام إداري يستطيع التعامل مع التوسع الهائل في الإنتاج الصناعي، وما نجم عنه من تضخيم في المؤسسات الاقتصادية والصناعية والاجتماعية، ومارافق ذلك من تعقيد في الحياة البشرية، وتبين أنه من الصعوبة بمكان أن يستطيع شخص واحد القيام بأعمال متعددة ومعقدة في آن واحد، وهذا كان من المبررات التي دفعت فيبر إلى البحث عن تنظيم إداري قادر على ضبط ومراقبة المهام الصناعية المختلفة، فقام بتحديد المهام والأدوار والصلاحيات لكل شخص ضمن نظام هرمي، بحيث يكون الفرد ضمن هذا التنظيم تابعا لرئيس واحد، ويتبعه في الوقت نفسه مجموعة من الرؤوسين، وحدد فيبر مهام وصلاحيات وأدوار الرؤوسين بدقة ضمن لوائح وإجراءات وقواعد مكتوبة، وبذلك تتحكم في سلوك الجماعة البيروقراطية مجموعة ضوابط مقننة جامدة.^{٣٨}

ومن ثم، تقوم البيروقراطية على العلاقات السلطوية، واحترام مجموعة من الإجراءات والقواعد الرسمية والتنظيمية التي تتحكم في العمل، ومراعاة السلم الإداري، والأخذ بالتراتبية الإدارية الهرمية (الهيرارشية) من الرئيس إلى الرؤوس، أو من القمة إلى القاعدة (البنية الطويلة أو السطحية)، أو من المركز إلى غير المركز، والاحتكام إلى الخبرة والكفاءة والاستحقاق، دون اللجوء إلى العلاقات الإنسانية والشخصية. أضف إلى ذلك الأخذ بالمستويات الإدارية (العليا، والوسطى، والدنيا)، واحترام التسلسل الإداري، وهذا كله من أجل خدمة المصلحة العامة، وتجويد المنتج، وتحسين الأداء وتنظيمه كما وكيفا. ويعني هذا أن البيروقراطية وجدت من أجل "تسريع العمل وتقليل الأخطاء والدقة في الإنجاز والمحافظة على حقوق الموظف

^{٣٨} - إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج: الإدارة حقائق تتجدد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٤م، ص: ٨٤.

والصالح العام، وليست بالعكس، كما أصبح يحدث في أكثر الأحيان على أرض الواقع، بحيث إننا نلاحظ إفرزات سلبية، إساءات للبيروقراطية، والأهم من ذلك أنها أثرت على الناس في ضوء التعقيد الذي يلقونه. وإن ربط التعقيد بالقطاع الحكومي بشكل أكبر من القطاع الخاص صحيح، هذا واقع لأن القطاع الخاص يحرص فيه صاحب المؤسسة الخاصة على عمله، لأنه يحقق هدفاً ربحياً وأحياناً سريعاً، وهو حارس دائم وقائم على عمله وموظفيه بالحوافز وبالحمس إذا احتاج لذلك، ولكن الحارس الإداري في القطاع الحكومي لديه أولويات تختلف بعض الشيء، والرقابة كذلك تختلف بسبب اتساع القطاع الحكومي وحجمه ومقياس الإنتاج وربطه بالحوافز، وكما أن التقويم بشكل مخطط وواضح شبه غائب في قطاعنا الحكومي.^{٣٩}

وعليه، يعد ماكس فيبر رائد الأسلوب البيروقراطي، حيث ربطه بالسلطة العقلانية الشرعية المنظمة من جهة، و الهيرارشية الهرمية من القمة إلى القاعدة من جهة أخرى؛ لما لها من فوائد عملية في رفع الإنتاج والمردودية الكمية والكيفية، وتحقيق الفاعلية، واحترام اللوائح القانونية والتنظيمية غير الخاضعة لمزاج الرئيس أو المدير الإداري، علاوة على وحدة الأمر، ونطاق الإشراف، ومبدأ التدرج الهرمي...

ولا يعني هذا أن البيروقراطية مفهوم حديث العهد، بل عرفته الشعوب القديمة كذلك. وفي هذا الصدد، يقول أنتوني جيدنز: "يعتقد فيبر أن بعض أنواع التنظيم البيروقراطي قد نشأت وتطورت في الحضارات التقليدية القديمة. فالمسؤول البيروقراطي في الصين القديمة هو الذي كان يتولى مسؤولية إدارة شؤون الحكومة، غير أن البيروقراطية لم تتطور وتكتمل إلا في

^{٣٩} - إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج: الإدارة حقائق تتجدد، ص: ٨٦.

العصور الحديثة باعتبارها تشكل المحور الرئيسي لترشيد وعقلنة المجتمع. وقد ترك هذا الترشيح وتلك العقلنة آثارهما في جميع جوانب الحياة بما فيها العلوم والتربية والحكم. وبدلاً من أن يعتمد الناس على المعتقدات والعادات التقليدية التي درجوا عليها، فقد بدأ الناس في العصور الحديثة يتخذون قرارات عقلانية تستهدف تحقيق أهداف وأغراض واضحة، وراحوا يختارون السبل الأكثر كفاءة للوصول إلى نتائج محددة لأنشطتهم.

لم يكن ثمة مناص، في نظر فيبر، من انتشار البيروقراطية في المجتمعات الحديثة، فالسلطة البيروقراطية هي الأسلوب الوحيد للتعامل مع المتطلبات الإدارية والأنساق الاجتماعية. ومع تزايد التعقد في المهمات والواجبات غداً من الضروري تطوير أنظمة الضبط والسيطرة والإدارة لمعالجتها. من هنا، فقد نشأت البيروقراطية باعتبارها الاستجابة الأرشد والأكفأ لتلبية هذه الاحتياجات. غير أن فيبر نبه إلى كثير من جوانب القصور والإعاقة التي يحملها التنظيم البيروقراطي^{٤٠}.

ولتحديد البيروقراطية بشكل دقيق، التجأ ماكس فيبر إلى رسم نموذج مثالي يحدد مواصفات البيروقراطية الأساسية والجوهرية، ويستجلي سماتها ومكوناتها الشكلية في النقاط التالية:

① توزيع السلطة في شكل تراتبية هرمية ومراتب واضحة. ويعني هذا أن الإدارة عبارة عن شجرة بمجموعة من الفروع والمكاتب والرتب. ومن ثم، فهناك سلطة عليا تقوم بمهمة إصدار القرارات والأوامر من القمة العليا إلى القاعدة الدنيا. وتكون تلك الأوامر عبارة عن مهام وأداءات ينبغي تنفيذها من قبل الذين يوجدون في الرتب الدنيا أو المكاتب الفرعية.

^{٤٠} - أنطوني غيدنز: نفسه، ص: ٤٠٩-٤١٠.

وبتعبير آخر، هناك سلطة مركزية تصدر الأحكام والقرارات، وتوزع الأعمال والمهام على المرؤوسين لتنفيذها بشكل تراتبي وهرمي.

② خضوع الإدارة البيروقراطية للقوانين المكتوبة والتعليمات على جميع المستويات والأصعدة. بمعنى أن الإدارة تلتزم وتتقيد بمجموعة من التشريعات والقوانين الداخلية أو الخارجية على مستوى التدبير والتسيير والقيادة والإشراف؛ مما يجعل هذه الإدارة تشتغل برتبة وروتين وبطاء. ويستلزم هذا نوعاً من المرونة في التسيير والقيادة وإصدار القرارات المناسبة.

③ يعمل الموظفون في إطار البيروقراطية بدوام كامل، مع تقاض أجر وتعويضات عن العمل. ويعني هذا أن الموظف مرتبط بأوقات عمل محددة قانونياً. ثم، يحصل على أجر مقابل ذلك العمل. ويتحدد الأجر أو التعويضات حسب الأقدمية أو الكفاءة والاستحقاق.

④ الفصل التام بين عمل المسؤول وحياته خارجياً. ويعني هذا أن المسؤول البيروقراطي يفصل بين العمل وحياته الشخصية، فلا ينبغي أن يخلط بينهما.

⑤ إن الموظفين في التنظيمات البيروقراطية لا يملكون الموارد المادية والمالية المتاحة، بل يجدونها عند الدولة أو عند مالكي وسائل الإنتاج. ويعني هذا أن "نمو البيروقراطية، على ما يرى فير، تفصل بين العاملين من جهة والسيطرة على وسائل الإنتاج. ففي المجتمعات التقليدية، يسيطر المزارعون والصناع في العادة على عمليات الإنتاج ويمتلكون الأدوات التي

يستخدمونها. أما في التنظيمات البيروقراطية، فإن المواطنين لا يمتلكون المكاتب التي يعملون فيها ولا ما يستخدمونه من معدات وتجهيزات.^{٤١}

ومن هنا، فالبيروقراطية أساس الحداثة المتقدمة، وأساس الدولة المنظمة الراشدة التي تؤمن بالعقلانية. وقد " كان فيبر يعتقد أن اقتراب المنظمة من النموذج المثالي للبيروقراطية يجعلها أكثر كفاءة في مساعيها للوصول إلى الأهداف التي قامت من أجلها أساسا. كما أنه كان يرى أن البيروقراطية تتفوق من الوجهة الفنية والتقنية على أشكال التنظيم الأخرى كافة. وكثيرا ما أشار إلى البيروقراطية بوصفها بالماكنة المتقدمة؛ فالبيروقراطية هي التي ترتقي بالمهارات إلى حدودها القصوى، وتشدد على الدقة والسرعة في إنجاز المهمات المحددة.^{٤٢}

بيد أن النظرية البيروقراطية قد تحدد من الطاقات الإبداعية الموجودة لدى الموظفين، وتجعلهم مثل روبوتات آلية، تتحكم فيهم علاقات ميكانيكية من الأعلى نحو الأسفل. كما أن العلاقات التي تجمع بين أعضاء التنظيم هي علاقات رسمية وإدارية أكثر مما هي علاقات إنسانية. ويعني هذا أن أسلوب البيروقراطية لا يراعي الجوانب النفسية والإنسانية لدى الموظف. كما تغيب روح المبادرة في هذا التصور الإداري، فمن الأفضل تطبيق المقاربة التشاركية، وتحفيز الموظف ماديا ومعنويا، ثم ترقيته على أساس المبادرة والقدرات الكفائية، ومراعاة العلاقات الإنسانية التي تتحكم في العمل الإداري. ويمكن، أن ينتج عن تعدد المكاتب واللجان الإدارية تعقيد في المساطر الإدارية، وتباطؤ في تنفيذها. في حين، تطالب الإدارة بالمرونة واليسر لمنافسة الإدارات الأخرى، ولاسيما الإدارة ذات التوجه الخصوصي. وفي هذا الصدد، يقول أنتوني غيدنز: " إن فيبر في تحليله للبيروقراطية قد أولى اهتمامه

٤١ - أنتوني غيدنز : نفسه، ص: ٤١٠-٤١١.

٤٢ - أنتوني غيدنز: نفسه، ص: ٤١١.

الرئيسي للعلاقات الرسمية التي تحددها القواعد والأنظمة الداخلية في المؤسسة، غير أنه لم يتحدث عن الروابط الشخصية والعلاقات التي تدور في نطاق ضيق بين الجماعات في جميع المنظمات. وتبين لنا من دراسات موسعة الأساليب غير الرسمية لأنشطة المنظمات تتيح مجالاً واسعاً للمرونة وتفسح الفرصة لتحقيق غايات المؤسسة بطرائق أخرى. وفي مقدمة الدراسات المرجعية التي تناولت العلاقات غير الرسمية تلك التي أجراها بيتر بلو (Blau 1963) في إحدى الدوائر الحكومية المختصة بتقصي المخالفات والانتهاكات لقوانين ضريبة الدخل. ففي هذه الدائرة، كان على الموظفين والعاملين أن يناقشوا مثل هذه المخالفات أو الأمر مع رؤسائهم والمشرفين عليهم ويتجنبوا استشارة زملائهم الذين يمثّلونهم في المرتبة الوظيفية. غير أن هؤلاء كانوا يتحاشون الرجوع إلى رؤسائهم في مثل هذه القضايا خشية أن يفسر ذلك باعتباره دليلاً على عدم كفاءتهم، ويقلل بالتالي من فرص ترقيةهم إلى مرتبة أعلى. ومن هنا، فقد درجوا على التشاور بين بعضهم البعض ومخالفة التعليمات الرسمية بهذا الصدد. ولم يقتصر تصرفهم هذا على تمكينهم من تقديم حلول عملية ملموسة ومباشرة لتلك القضايا، بل إنه خفف من المخاوف التي كانت تنتابهم من جراء العمل بصورة منفردة ومعزل عن الآخرين. وكان من نتائج ذلك أن نشأت وتعززت فيما بينهم منظومة متماسكة من الولاءات على المستوى الأولي للجماعات البشرية العاملة في المرتبة الوظيفية نفسها، وربما كانت الأساليب التي انتهجها هؤلاء في معالجة القضايا والمشكلات التي واجهوها أكثر كفاءة وأسرع إنجازاً. فقد استطاعت المجموعة أن تنمي بين أعضائها سلسلة من الإجراءات غير الرسمية تتفوق على القواعد الرسمية للمنظمة في إذكاء روح المبادرة والإحساس بالمسؤولية بين العاملين.^{٤٣}

^{٤٣} - أنتوني غيدنز: نفسه، ص: ٤١١-٤١٢.

ومن جهة أخرى، يرى روبرت ميرتون أن البيروقراطية أسلوب إداري رتيب ومعيق للتطور والمنافسة والتقدم في العمل، على أساس أن هذا الأسلوب يلحق الضرر بالمؤسسة عاجلاً أو آجلاً. وفي هذا، يقول أنتوني غيدنز: " ووضع عالم الاجتماع الأمريكي روبرت ميرتون (Robert Merton 1957) دراسة موسعة عن النموذج المثالي الذي طرحه فيبر عن المنظمة البيروقراطية. وبين هذا الباحث، وهو من كبار الباحثين في المدرسة الوظيفية، أن البيروقراطية تنطوي على كثير من جوانب القصور والعناصر التي قد تفضي إلى إلحاق الضرر حتى في نشاط المؤسسة نفسها. ومن مآخذ ميرتون على البيروقراطية أن موظفيها البيروقراطيين يدرّبون على الالتزام المتشدد بالقواعد والإجراءات المكتوبة التي لا تترك لهم مجالاً للمرونة في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات، أو السعي إلى حلول وإجابات مبتكرة لمعالجة القضايا والمشكلات. وقد يؤدي ذلك إلى تصلب ما يسمى الطقوس البيروقراطية التي تعلو فيها القواعد والقوانين على كل ماعداها من الأمور والحلول المحتملة. كما أن الالتزام المتزمت بهذه القواعد ربما يخفي أو يبديد الأهداف الفعلية للمنظمة ويصبح غاية بحد ذاته، ويحجب عن البصر الصورة الكلية لأنشطة المؤسسة. وتوقع روبرت ميرتون نشوء حالة من التوتر والتناقض بين المؤسسات البيروقراطية، ولاسيما الحكومية والعامّة منها من جهة وجماهيرها العريضة من جهة أخرى، لأن انشغال المسؤولين البيروقراطيين بأداء مهماتهم وفق الروتين اليومي الذي درجوا عليه قد يخلق فجوة بينهم وبين مصالح الناس واهتماماتهم واحتياجاتهم الفعلية." ٤٤

ويرى ميشيل فوكو أن البيروقراطية تعني السيطرة على الزمان والمكان، وأداة لمراقبة الأجساد والتنصت عليها بمختلف الوسائل والأجهزة. ولا يتعلق هذا بدول المستبدة فحسب، بل

٤٤ - أنتوني غيدنز: نفسه، ص: ٤١٣-٤١٤.

يتعدى ذلك إلى الدول الديمقراطية ككندا مثلاً. ويرى فوكو أن الإدارة رمز للقوة والسلطة والتراتبية الاجتماعية. " فالمكاتب والرتب التي وصفها فيبر بصورة مجردة تتخذ هنا أشكالاً معمارية، بل إن المباني التي تضم الشركات الكبرى تنظم بصورة عامة تنظيمًا عمودياً تكون فيه الطوابق العلوية مخصصة لذوي السلطة والقوة الأعلى في المنظمة. وكلما اقترب مكتب الموظف من قمة المبنى، ازدادت دلائل اقترابه من عملها، ولاسيما في الحالات التي يعتمد فيها النسق التنظيمي على العلاقات غير الرسمية. إن القرب الفيزيقي ييسر التفاعل والتواصل بين الجماعات الأولية بينما يؤدي البعد المادي إلى استقطاب المجموعات ووضع خطوط فاصلة بين "هم" و"نحن"، كما يؤدي إلى التباعد بين دوائر المؤسسة وأقسامها. لا تستطيع المنظمات أن تعمل بكفاءة إذا كانت أنشطة العاملين فيها متداخلة على نحو عشوائي. ففي الشركات التجارية، كما أوضح فيبر، تتوقع من الناس أن يعملوا ساعات منتظمة، كما ينبغي التنسيق بين الأنشطة، من الوجهتين الزمانية والمكانية، وذلك ما يتحقق إلى حد بعيد عن طريق التقسيم المادي لأماكن العمل من جهة، وتنظيم الجداول الزمنية لأداء المهمات. ومن شأن ذلك، كما يرى فوكو، توزيع الأجسام؛ أي الناس بطريقة تجتمع فيها الكفاءة والفعالية، وبغير هذه الترتيبات تدخل الأنشطة الإنسانية حالة من الفوضى المطبقة. إن ترتيبات الغرف والقاعات والفضاءات المفتوحة في المبنى الذي تشغله المنظمة تعطينا مؤشرات أساسية عن الأسلوب الذي يعمل به نظام السلطة والقوة.^{٤٥} "

وإذا كان الأسلوب البيروقراطي يتسم بالاستخدام السيء لمعيار التخصص؛ والاستخدام السيء للإجراءات الروتينية؛ والاستخدام الخاطئ للتسلسل الرئاسي؛ والاستخدام الحرفي للأنظمة والالتزام الجامد باللوائح والتعليمات، فإن البيروقراطية الفيبرية تتميز بمجموعة من

^{٤٥} - أنتوني غيدنز: نفسه، ص: ٤١٦.

المواصفات والمقومات الأساسية وهي: العقلانية، والعمل الهادف، والتخصص، والتراتبية، والتسلسل الإداري، والمراقبة، والكفاءة، والتحفيز، وتنظيم العمل، واتباع الرسميات، والتأثير القانوني، ووحدة السلطة والقرار (وحدة الأمر)، والسلطة المركزية، ونطاق الإشراف، ومبدأ التدرج الهرمي...^{٤٦}

وعليه، يعد ماكس فيبر من أهم ممثلي المدرسة الكلاسيكية في مجال التدبير، وخاصة ذلك الاتجاه الذي ركز على السلطة في مجال الإدارة والاقتصاد، وتبيان أشكال تنظيمها، إلى جانب ميشيل كروزير (Michel Crozier). بيد أن ماكس فيبر تميز بتقسيم السلطة إلى أنواع ثلاثة: السلطة الكاريزمية التي تعود إلى شخصية المسؤول الآسرة التي تجعل الآخرين يلتزمون بأوامرها اقتناعاً وإعجاباً؛ والسلطة التقليدية القائمة على الأعراف والتقاليد والوراثة؛ والسلطة الوظيفية الرسمية (البيروقراطية).

المبحث التاسع: سوسيولوجيا الأديان

يعد ماكس فيبر من السابقين إلى تأسيس سوسيولوجيا الأديان، إذ اهتم بدراسة البروتستانتية والكاثوليكية واليهودية والكونفوشيوسية والفارسية والهندوسية والطاوية والإسلام، فقد رأى أن الدين البروتستانتي، باعتباره بنية فوقية، هو الذي ساهم في ظهور النظام الرأسمالي في أوروبا الغربية؛ لأن البروتستانتية، ولاسيما مذهب كالفين (Calvin)، تدعو إلى العمل والمبادرة والتنافس والاكتساب المثمر، وتنمية الرأسمال، والإقبال على الحياة بكل مباحها ومتعتها، وجمع الثروات لتحقيق الغنى، وفق دوافع سيكولوجية ومبادئ أخلاقية، مثل: الحرص، والشح، والاستثمار، والاقتصاد، والادخار، وحب العمل... إن من

^{٤٦} - إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلاج: نفسه، ص: ٨٨-٩١.

لا يعمل لن يأكل كما قال القديس بولوس. في حين، تبعد الكاثوليكية الإنسان عن الدنيا، وتحته على الزهد والرهبانية والاعتكاف الديني، بعيدا عن مشاغل الحياة ومشاكلها المادية. ومن هنا، فقد كان الإصلاح الديني الذي قاده مارتن لوثر من العوامل الرئيسية التي شجعت على نمو العقلية الليبرالية الرأسمالية، وتشكل البيروقراطية العقلانية على المستوى الاقتصادي، ويتضح هذا جليا في كتابه (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية).

أما فيما يخص الديانات الشرقية، وخاصة الإسلام، فقد اعتبرها ديانات لاعقلانية، تسودها أفكار خرافية وسحرية معادية للعقل واللغوس والمنطق. ولذلك، لم تتطور الأوضاع الاقتصادية في البلدان التي تنتشر فيها هذه الديانات؛ نظرا لافتقارها - كما يزعم فيبر - إلى العقلانية في التخطيط والتدبير والتنظيم والتفكير.

ويرى محمد عابد الجابري أن نظرة ماكس فيبر نظرة متهافئة من نواح عدة، حيث يقول: "إن ادعاءه الخاص بكون المسيحية، بما فيها من بروتستانتية وكالفينية، أكثر عقلانية من الإسلام ادعاء لأساس له. فالإسلام بشهادة كثير من المستشرقين أكثر عقلانية من المسيحية بمختلف مذاهبها. وهذا ما أكده الأستاذ ماكسيم رودنسون (Maxim Rodinson) في كتابه القيم (الإسلام والرأسمالية) الذي أثبت فيه أن الدين الإسلامي، سواء كعقيدة أو تطبيق، لم يكن المانع من قيام الرأسمالية في البلاد الإسلامية، ولذلك فإن أسباب قيام الرأسمالية في أوروبا، وعدم قيامها في البلاد العربية الإسلامية، ظاهرة يجب أن

يبحث عن عواملها في مقتضيات الوضع الاجتماعي العام، تلك المقتضيات التي تلح عليها الماركسية إلحاحا خاصا.^{٤٧}"

ويضيف الباحث: "وأما القول بأن البروتستانتية وأخلاقتها هي التي كانت العامل في قيام الرأسمالية في أوروبا الغربية، فهذا افتراض قابل للمناقشة إلى حد كبير. يمكن مثلا أن نتساءل: هل كانت الرأسمالية نتيجة للبروتستانتية كما ادعى فيبر، أم أن البروتستانتية نفسها هي نتيجة تحولات اجتماعية واقتصادية كانت هي بداية الرأسمالية؟ وبعبارة أخرى: هل كانت الرأسمالية نتيجة للبروتستانتية، أم سببا لها، أم حدثا مساوقا لها ترجع أسبابه إلى عوامل أخرى؟ لقد لاحظ إنجلز في مقدمة الطبعة الإنجليزية لكتابه (الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية) المؤرخة بعام ١٨٩٢، لاحظ أن العقيدة الكالفينية كانت تستجيب لحاجيات البورجوازية الأكثر تقدما آنئذ. وما نظريتها في القضاء والقدر إلا تعبير ديني للحقيقة الواقعية التالية، وهي أنه في عالم المنافسة التجارية، يتوقف نجاح الإنسان أو إخفاقه، لا على حذقه وفطنته، بل على الظروف المستقلة التي تخضع لمراقبته. فالعقيدة الكالفينية بهذا الاعتبار ليست عاملا في قيام الرأسمالية، بل هي نفسها، من نتاج الظروف الموضوعية الاجتماعية والاقتصادية، ظروف نشأة الرأسمالية ذاتها.^{٤٨}"

وبناء على ماسبق، يتضح لنا أن ماكس فيبر درس مجموعة من العقائد والأديان، مثل: المسيحية في كتابه (الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية)، واليهودية في كتابه (اليهودية

^{٤٧} - محمد عابد الجابري: من دروس الفلسفة والفكر الإسلامي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م، ص: ١٥٧.

^{٤٨} - محمد عابد الجابري: من دروس الفلسفة والفكر الإسلامي، ص: ١٥٧.

القديمة⁴⁹، والهندوسية والبوذية في كتابه (الهندوسية والبوذية)⁵⁰، والكونفوشيوسية والطاوية في كتابه (الكونفوشيوسية والطاوية)⁵¹... وبهذا، يكون ماكس فيبر قد أسس - فعلا - سوسيولوجيا الأديان نظرية وتطبيقا.

وترتكز سوسيولوجيا الأديان⁵² عند ماكس فيبر على ثلاثة تصورات جوهرية هي: أثر الأفكار الدينية على الأنشطة الاقتصادية؛ والعلاقات الموجودة بين التراتبية الاجتماعية والأفكار الدينية؛ والخصائص المميزة للحضارة الغربية. كما أن الهدف الأساس من دراساته هو معرفة التطور الذي أصاب الثقافة الغربية والشرقية. وقد توصل فيبر إلى أن الأفكار المسيحية كان لها تأثير إيجابي في تطور الاقتصاد الرأسمالي في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. لكن ليست العوامل الروحية والدينية هي الأسباب الوحيدة في تطور الاقتصاد، بل ثمة عوامل أخرى، مثل: العقلانية، والبحث العلمي، وتقدم الرياضيات، وتقدم التعليم الجامعي، وتمثل الشرعية السياسية والقانونية والحقوقية، والأخذ بروح المقابلة أو المؤسسة. والهدف من هذا كله هو فهم الحضارة الغربية الليبرالية، ورصد سحر عالمها.

⁴⁹- Max weber : **Le Judaïsme antique** (1917-1918), traduction par Freddy Raphaël, Plon, 1970.

⁵⁰- Max weber : **Hindouisme et Bouddhisme** (1916), traduction par Isabelle Kalinowski et Roland Lardinois, Flammarion, 2003.

⁵¹ - Max weber : **Confucianisme et Taoïsme** (1916), traduction par Catherine Colliot-Thélène et Jean-Pierre Grossein, Gallimard, 2000.

⁵²- Max weber : **Sociologie des religions** (choix de textes et traduction par Jean-Pierre Grossein), Gallimard, 1996.

المبحث العاشر: تلقي أفكار ماكس فيبر

لقد تأخر الفرنسيون سنوات عدة في الاستفادة من أفكار ماكس فيبر مقارنة بنظرائهم في الولايات المتحدة الأمريكية؛ ويرجع السبب في ذلك إلى هيمنة المدرستين السوسيولوجيتين: الدوركايمية والماركسية. وإذا كان الأمريكي تالكوت بارسون (Talcott Parsons)، زعيم البنائية الوظيفية، قد عرف بماكس فيبر، وترجم مؤلفاته إلى اللغة الإنجليزية؛ فإن الفرنسي رايون أرون (Raymond Aron) هو أول من اكتشف ماكس فيبر سنة ١٩٣٦م، في كتابه (السوسيولوجيا الألمانية المعاصرة)^{٥٣}.

ومن ذلك الوقت، ظل تأثير ماكس فيبر واضحاً في السوسيولوجيا الفرنسية، ولاسيما في رايون بودون (Raymond Boudon)، ويير بورديو (Pierre Bourdieu)، ولوسيان كولدمان (Lucien Goldmann)، بعد التعريف بنظرياته وأفكاره وتصورات السوسولوجية والسياسية والاقتصادية والفلسفية، وترجمة أعماله إلى اللغة الفرنسية ابتداء من سنوات الستين من القرن الماضي.

المبحث الحادي عشر: تقويم أفكار ماكس فيبر

أول ملاحظة على ماكس فيبر هو دفاعه عن البورجوازية الألمانية بدل الدفاع عن الطبقات العمالية المسحوقة والمستغلة في القرن التاسع عشر. أضف إلى ذلك أن علم الاجتماع قد تحول مع فيبر إلى مبحث سيكولوجي يعنى بدراسة الفرد من الداخل بدل دراسة المجتمع دراسة علمية تجريبية موضوعية. ومن جهة أخرى، يتميز نموذج المثالي بالغموض وعدم

⁵³ - Raymond Aron, *La Sociologie allemande contemporaine*, PUF, 2007.

الدقة لعدم وجود نماذج تطبيقية لتوضيح هذا البراديغم بشكل واضح وجلي. كما كان ماكس فيبر بورجوازيًا في فكره، يدافع عن ألمانيا قومية وإمبريالية توسعية على حساب القيم والمبادئ الإنسانية العليا. علاوة على ذلك، فقد ربط الحداثة بالغرب، ولم يتوقف عند الحداثة العربية الإسلامية في العصور الوسطى. وفي هذا السياق، يقول عبد الباسط عبد المعطي: "ومما يؤخذ على فيبر مغالاته في التشديد على الجوانب الذاتية في الحياة الاجتماعية. أي: مرامي الأفراد ودوافعهم، الأمر الذي اقترب به من حافة التفسيرات السيكلولوجية للظواهر الاجتماعية. فقد أكد على فهم الأفراد ومصالحهم ومشاعرهم، وحتى في تمييزه بين أنماط السلطة ركز على دور الزعيم الملهم. وقد جعله هذا يفرط في مسائل النسبية الثقافية والقيمية. وبالتالي، وضع تحديدات جمة أمام إمكانية التوصل إلى قوانين علمية موضوعية يسير المجتمع الإنساني في ضوئها. فقد أشار في مقاله الموسوم بـ(الموضوعية في العلوم الاجتماعية) إلى أنه ليس هناك تحليل علمي مطلق للثقافة، وإذا شئنا الدقة ليس هناك ظواهر اجتماعية مستقلة عن وجهات نظر ذات جانب واحد. ومع أهمية هذه النقطة، فإن المبالغة فيها أفضت إلى آراء فردية ودراسات فردية أثرت في خطوط سير علم الاجتماع بعد ذلك حيث تحولت الدراسات إلى حملات قيمية نسبية خنقت البحث العلمي الموضوعي في علم الاجتماع.

وتتجمع خيوط فكر فيبر - في نسيجها الجوهري - حول قيم الفردية والذاتية ليكون بذلك مبررا ومساندا للعمل الفردي، وللمشروع الرأسمالي، الأمر الذي يدل على وقوفه فكرا وموقفا

وسلوكا بجانب المصالح الرأسمالية متغافلا عن الطقات الاجتماعية العريضة من عمال وفلاحين وموظفين... إلخ.^{٥٤}

وما يلاحظ أيضا على ماكس فيبر هو دفاعه المبالغ فيه عن الحضارة الغربية باعتبارها الحضارة السامية والمتفوقة مقارنة بالحضارات الأخرى. وهذا نوع من الادعاء الزائف؛ لأن الحضارات تتعاقب على مستوى الحداثة والتقدم والازدهار. وقد رأينا مجموعة من الحضارات المتقدمة سابقا، مثل: الحضارة البابلية، والحضارة الفرعونية، والحضارة العربية - الإسلامية... ونتحدث - اليوم - عن الحضارة اليابانية والحضارة الصينية وغيرها من الحضارات المتقدمة. وفي هذا الصدد، يقول محمد أمزيان: " لقد أكد ماكس فيبر - وهو واحد من أبرز من قام بالدعوة إلى ضرورة الحياد الأخلاقي وتجنب النظرة المعيارية - أكد على تفرد الحضارة الغربية والنمط الثقافي الغربي. فهو يعتقد أن العلم لم ينم إلا في الغرب، والغرب وحده هو الذي أقام نظاما سياسيا مقننا، وليس هناك إطلاقا ما يعادل البيروقراطية الأوروبية المكونة من متخصصين ومشرعين وفنيين، وليس هناك اقتصاد منظم كما هو في صورته الرأسمالية، وحتى السلوك والديانات تتمتع بنفس التفوق. لقد انتهى ماكس فيبر - كما يقول جوليان فروند - إلى التساؤل عما إذا كانت هذه الأصالة راجعة إلى صفات وراثية نظرا لما نصادفه في الغرب وفي الغرب وحده ودون انقطاع من تعقيل أتمودجي إلى حد بعيد، لقد عكف فيبر وبكثير من الاهتمام والفضول على العالم الغربي في أصالته، حتى إنه - يقول جوليان فروند - يخلف فينا الانطباع بأن الدراسات التي خصصها للهندوكية والصين

^{٥٤} - عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، ص: ٩٦.

والثقافات الأخرى لم تكن إلا برهانا ضعيفا غايته إبراز أصالة الحضارة الغربية إبرازا أحسن وأقوى.^{٥٥}

وعليه، فلقد اهتم ماكس فيبر بدراسة الحداثة التي تعني العقلانية والتنظيم البيروقراطي، وتمثل القيم البرتستانتيية، وانتهاج الرأسمالية المادية، وهي خاصية مرتبطة بالعالم الغربي، وقد جاءت رد فعل على الخرافة والأسطورة والتفسيرات الميتافيزيقية. بيد أن الحداثة التي يدافع عنها فيبر هي الحداثة الغربية، ولكنه يغض الطرف عن الحداثة الإسلامية القائمة على القرآن والقيم المثلى المتعالية عما هو مادي، كحداثة الوحي، وحداثة صدر الإسلام، وحداثة الدولة العباسية. ومن ثم، فإن الحضارة الإسلامية تتشكل من مجموعة من الحداثات^{٥٦}.

^{٥٥} - محمد محمد أمزيان: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م، ص: ٣٣٨.

^{٥٦} - انظر: جميل حمداوي: الإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار التنوير، الجزائر، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٤م.

الخاتمة

وخلاصة القول، يتبين لنا أن ماكس فيبر رائد علم الاجتماع التفهمي، ورائد السوسيولوجيا السياسية، ومؤسس السوسيولوجيا الإدارية، وسوسيولوجيا الأديان والفنون... ومن ثم، يتميز ماكس فيبر بتعدد الاختصاصات والعلوم والمعارف، فهو رجل فلسفة، وتاريخ، واقتصاد، وسياسة، وإدارة، ودين، وفن...

وقد أثبت أن علم الاجتماع هو الذي يدرس الفعل الفردي أو سلوك الإنسان الذي يضيف عليه الفاعل معنى ذاتيا، سواء أكان صريحا أم ضمنيا. وهذا الفعل أنواع كثيرة. ومن ثم، فوحدة المجتمع هو الفرد الفاعل.

وتستند سوسيولوجيا ماكس فيبر إلى مجموعة من التصورات والأفكار والنظريات، كالجمع بين الخطوات المنهجية الثلاث: الفهم، والتفسير، والتأويل، وتمثل النموذج المثالي في دراسة الظواهر المجتمعية، على أساس أنه نموذج أو قالب أو براديجم مجرد قائم على مجموعة من المفاهيم لوصف الظاهرة المجتمعية المعطاة، برصد المكونات الجوهرية والبارزة والسمات الثانوية...

ومن جهة أخرى، فقد ميز ماكس فيبر بين السلوك العقلي والسلوك اللاعقلي. فالأول يهدف إلى تحقيق هدف معين اعتمادا على وسائل محددة بدقة وعقلانية. أما السلوك الثاني، فهو سلوك عفوي وعشوائي، ينقصه التخطيط العقلاني، والمقصدية الهادفة. ومن ثم، يسير وفق العادات والتقاليد والأعراف.

ولم يقتصر عمل فيبر على ماهو اجتماعي، بل اهتم بالجوانب الإدارية (البيروقراطية)،
والجوانب السياسية (العنف المشروع، وأشكال الهيمنة السياسية)، والجوانب الدينية (ربط
الاقتصاد الرأسمالي بالعوامل الروحية)، والاهتمام بالفن الموسيقي على سبيل الخصوص.
واهتم كذلك بسوسيولوجيا الشغل وسوسيولوجيا التربية.

ثبت المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- ١- إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج: الإدارة حقائق تتجدد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٤م.
- ٢- أنتوني غدينز: علم الاجتماع، ترجمة: فايز الصياغ، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م.
- ٣- جميل حمداوي: الإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، دار التنوير، الجزائر، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٤م.
- ٤- جوليان فروند: سوسيولوجيا ماكس فيبر، ترجمة: جورج أبوصالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
- ٥- عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٤٤، ١٩٨١م.
- ٦- عبد الله إبراهيم: الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية ٢٠١٠م.
- ٧- فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه: علم الاجتماع، ترجمة: إياس حسن، دار الفرقد، دمشق، سورية، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٨- كاترين كوليو تيلين: ماكس فيبر والتاريخ، ترجمة: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م.

٩- ماكس فيبر: رجل العلم ورجل السياسة، ترجمة: نادر ذكرى، عن الفلسفة الحديثة، لعبد السلام بنعبد العالي ومحمد سبيلا، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م.

١٠- مجموعة من المؤلفين السوسيولوجيين: قراءة معاصرة في نظريات علم الاجتماع، ترجمة: مصطفى خلف عبد الجواد، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، طبعة ٢٠٠٢م.

١١- محمد عابد الجابري وآخرون: دروس الفلسفة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، طبعة ١٩٧١م.

١٢- محمد عابد الجابري: من دروس الفلسفة والفكر الإسلامي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م.

١٣- محمد محمد أمزيان: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م.

١٤- محمود عودة: أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.

١٥- موريس دوفرجهيه: علم اجتماع السياسة، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

١٦- نقولا تيماشيف: نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمود عودة وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثامنة ١٩٨٣م.

١٧- وسيلة خزار: الأيديولوجيا وعلم الاجتماع، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣م.

المراجع الأجنبية:

18- Catherine Colliot-Thélène: la sociologie de Max Weber, La découverte, Paris, France, 2006.

19-Jacqueline Russ:Les théories du pouvoir, Librairie Générale française, Coll.Poche, 1944.

20-Max Weber: L'Éthique protestante et l'esprit du capitalisme (1904-1905), traduction par Jacques Chavy, Plon, 1964 ; nouvelles traductions par Isabelle Kalinowski, Flammarion 2000; Jean-Pierre Grossein, Gallimard 2003.

21-Max weber: Le Judaïsme antique (1917-1918), traduction par Freddy Raphaël, Plon, 1970.

22-Max weber: Sociologie des religions (choix de textes et traduction par Jean-Pierre Grossein), Gallimard, 1996.

23- Max Weber: **Economie et société**, introduction de Hinnerk Bruhns, traduction par Catherine Colliot-Thélène et Françoise Laroche, La Découverte, 1998.

24- Max Weber: **Le savant et le politique**, Plon 10/18, 1979.

25- Max weber: **Confucianisme et Taoïsme** (1916), traduction par Catherine Colliot-Thélène et Jean-Pierre Grossein, Gallimard, 2000.

26- Max weber: **Hindouisme et Bouddhisme** (1916), traduction par Isabelle Kalinowski et Roland Lardinois, Flammarion, 2003.

27- Pierre Bréchier: **Les grands courants de la sociologie**, PUF, 2000.

28- Max weber: **Sociologie des religions** (choix de textes et traduction par Jean-Pierre Grossein), Gallimard, 1996.

29- Raymond Aron, **La Sociologie allemande contemporaine**, PUF, 2007.

الفهرسة

المقدمة.....	٤
المبحث الأول: الأجواء الثقافية التي عاش فيها ماكس فيبر.....	٦
المبحث الثاني: تعريف السوسيولوجيا.....	٩
المبحث الثالث: موضوع السوسيولوجيا.....	١٥
المبحث الرابع: التصور المنهجي.....	١٦
المبحث الخامس: النمط المثالي أساس الفهم.....	٢٧
المبحث السادس: أنماط الفعل الاجتماعي.....	٣١
المبحث السابع: السوسيولوجيا السياسية.....	٣٢
المبحث الثامن: ماكس فيبر وسوسيولوجيا الإدارة.....	٣٨
المبحث التاسع: سوسيولوجيا الأديان.....	٤٩
المبحث العاشر: تلقي أفكار ماكس فيبر.....	٥٣
المبحث الحادي عشر: تقويم أفكار ماكس فيبر.....	٥٤
الخاتمة.....	٥٧
ثبت المصادر والمراجع.....	٥٩

سيرة الباحث:



- جميل حمداوي من مواليد مدينة الناظور المغرب.
- حاصل على دكتوراه الدولة سنة ٢٠٠١م.
- أستاذ التعليم العالي.
- أديب ومبدع وناقد وباحث، يشتغل ضمن رؤية أكاديمية موسوعية.
- حصل على جائزة مؤسسة المثقف العربي (سيدني/أستراليا) لعام ٢٠١١م في النقد والدراسات الأدبية.
- حاصل على جائزة ناجي النعمان الأدبية سنة ٢٠١٤م.
- رئيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا.
- رئيس المهرجان العربي للقصة القصيرة جدا.
- رئيس الهيئة العربية لنقاد القصة القصيرة جدا.
- رئيس الهيئة العربية لنقاد الكتابة الشذرية ومبدعيها.

- رئيس جمعية الجسور للبحث في الثقافة والفنون.
- رئيس مختبر المسرح الأمازيغي.
- عضو الجمعية العربية لنقاد المسرح.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- عضو اتحاد كتاب العرب.
- عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب.
- عضو اتحاد كتاب المغرب.
- من منظري فن القصة القصيرة جدا وفن الكتابة الشذرية على الصعيد العربي.
- خبير في البيداغوجيا والسيميولوجيا والثقافة الأمازيغية.
- ترجمت مقالاته إلى اللغة الفرنسية و اللغة الكردية.
- شارك في مهرجانات عربية عدة في كل من: الجزائر، وتونس، ومصر، والأردن، ولبنان، والسعودية، والبحرين، والعراق، والإمارات العربية المتحدة، وسلطنة عمان...
- مستشار في مجموعة من الصحف والمجلات والجرائد والدوريات الوطنية والعربية.
- نشر العديد من المقالات الورقية المحكمة وغير المحكمة التي تربو على الألف. علاوة على عدد كبير من المقالات الرقمية، وأكثر من (١١٤) كتاب في مجالات متنوعة، وأكثر من ستين كتابا رقميا.

- ومن أهم كتبه: الشذرات بين النظرية والتطبيق، والقصة القصيرة جدا بين التنظير والتطبيق، والرواية التاريخية، تصورات تربوية جديدة، والإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، ومجزئات التكوين، ومن سيميوطيقا الذات إلى سيميوطيقا التوتر، والتربية الفنية، ومدخل إلى الأدب السعودي، والإحصاء التربوي، ونظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، ومقومات القصة القصيرة جدا عند جمال الدين الخضير، وأنواع الممثل في التيارات المسرحية الغربية والعربية، وفي نظرية الرواية: مقاربات جديدة، وأنطولوجيا القصة القصيرة جدا بالمغرب، والقصيدة الكونكرتية، ومن أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جدا، والسيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، والإخراج المسرحي، ومدخل إلى السينوغرافيا المسرحية، والمسرح الأمازيغي، ومسرح الشباب بالمغرب، والمدخل إلى الإخراج المسرحي، ومسرح الطفل بين التأليف والإخراج، ومسرح الأطفال بالمغرب، ونصوص مسرحية، ومدخل إلى السينما المغربية، ومناهج النقد العربي، والجديد في التربية والتعليم، وببليوغرافيا أدب الأطفال بالمغرب، ومدخل إلى الشعر الإسلامي، والمدارس العتيقة بالمغرب، وأدب الأطفال بالمغرب، والقصة القصيرة جدا بالمغرب، والقصة القصيرة جدا عند السعودي علي حسن البطران، وأعلام الثقافة الأمازيغية...

- عنوان الباحث: جميل حمداوي، صندوق البريد ١٧٩٩، الناظور ٦٢٠٠٠، المغرب.

- الهاتف النقال: ٠٦٧٢٣٥٤٣٣٨

- الهاتف المنزلي: ٠٥٣٦٣٣٣٤٨٨

- الإيميل: Hamdaouidocteur@gmail.com

Jamilhamdaoui@yahoo.fr

كلمات الغلاف الخارجي:

يتناول هذا الكتاب جهود المفكر الألماني ماكس فيبر (Max Weber) في الميدان السوسيولوجي، وإن كان ماكس فيبر معروفاً بعلوم عدة، مثل: الفلسفة، والتاريخ، والاقتصاد، واللاهوت، وعلم الإدارة، وعلم السياسة، وغيرها من التخصصات والشعب والمسالك والمعارف. ومن ثم، لا يقتصر فيبر على امتلاك معرفة واحدة، بل يدمج كل العلوم والمعارف في بوتقة بحثية واحدة لفهم الظواهر المجتمعية وتفسيرها وتأويلها. ويكفيه فخراً أنه من المؤسسين للسوسيولوجيا التفهيمية أو التأويلية؛ وأيضاً من مؤسسي علم الإدارة الحديثة؛ وكذلك من أهم منظري البيروقراطية. ومن جهة أخرى، يعد من أهم المساهمين في تأسيس علم السياسة أو ما يسمى بعلم الاجتماع السياسي. وقد انتشرت أفكار ماكس فيبر، بشكل سريع، في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد ذلك، انتشرت في فرنسا بفضل أعمال رايون آرون (Aron).